MGR. CLEMENT JOSEPH DAVID

1829 - 1890

One of the greatest Iraqi thinkers in the 19th century

Author: Behham F. Affas

اقليمس يوسف داود في سطور . . . .

رائد من روّاد الفكر في العراق خلال القرن التاسع عشر

عراقي اصلاً ومولداً . ولد في الموصل سنة ١٨٢٩ وتوفي في دمشق سنة ١٨٩٠ .

تلقى دراسته في الموصل ولبنان . ثم جامعة بروبغندا في روما .

اتقن عشرين لغة . منها القديمة ومنها الحيّة .

ألّف في العربية والفرنسية واللاتينية والسريانية .

يُعدُّ كتابه «خلاصة في اصول النحو» المطبوع سنة ١٨٥٩ في الموصل أول كتاب يطبع في العراق في نحو اللغة العربية وصرفها .

تُعدُّ كتبه في النحو والصرف وسائر الفنون الأدبية من اوائل ما طبع في العراق .

كما تُعدُّ ترجمته للكتاب المقدس الى العربية من أجود وأدق الترجمات .

كانت حصيلة حياته ٨٥ مؤلفاً في مختلف العلوم والمعارف .

عيّن عضواً فاعلاً في المجمع الفاتيكاني الأول الذي انعقد سنة ١٨٦٩ في روما .

انتخب رئيساً لأساقفة دمشق سنة ١٨٧٨ .

انتخب عضواً عاملاً في الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية سنة ١٨٩٠ .

تحتل صورته مكانتها في دار الكتب اللبنانية بين روّاد النهضة في العالم العربي .

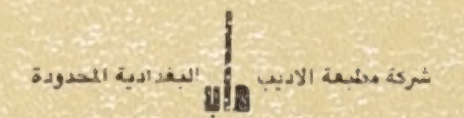
في الكتاب ترجمة مفصلة عن حياته مع دراسة تحليلية لنتاجه الفكري في مختلف حقول المعرفة ، اضافة الى تمهيد مفصل عن الحياة الفكرية والثقافية في العراق خلال القرن التاسع عشر .

تصميم الغلاف : المهندس غسان بهنام عفاص

السعر ٢٫٠٠٠ دينار

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٧٦ / ١٩٨٥

٦ / ٥٠٠٠ - ١٩٨٥/٣/١





اقليميس يوسف داؤد

١٨٢٩ - ١٨٩٠

رائد من رواد الفكر في العراق

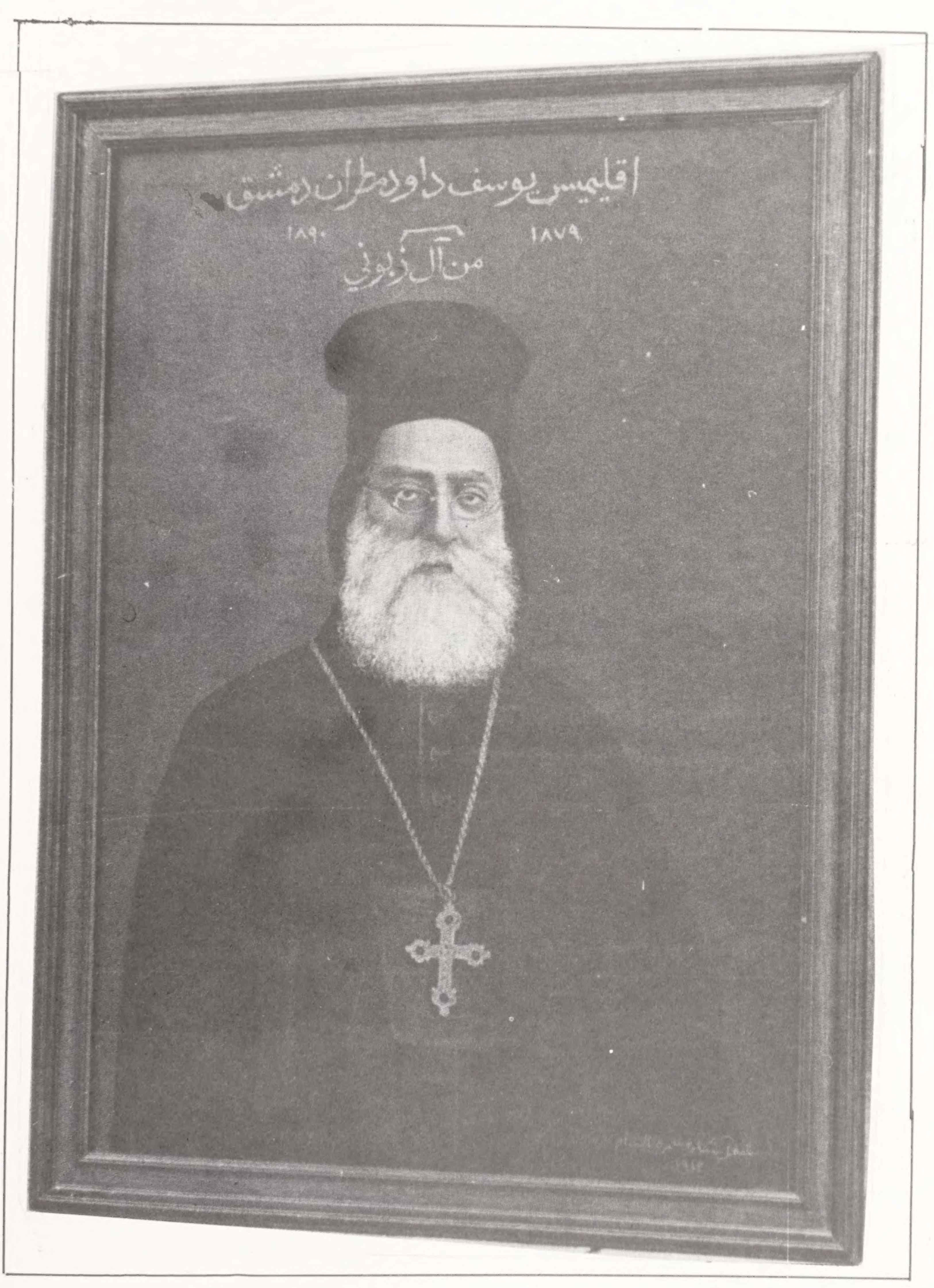
دراسة تحليلية

بهنام فضيل عفاص


Ex Libris
Beth Mardutho Library

الاهــــداء

الى الوطن المعطاء الذي انجب يوسف داؤد
وامثاله من المفكرين العظام
والى والديّ اللذين غرسا فيّ الحب والوفاء لهذا الوطن



اقليميس يوسف داؤد مطران دمشق

عن صورة زيتية للفنان بشارة سمرة رسمها سنة ١٩١٠ تخليداً لذكراه

الصورة الأصلية موجودة في صالون بطريركية السريان الكاثوليك في بيروت

مقدمة المؤلف

في دار الكتب اللبنانية تطالعك صورة زيتية ليوسف داؤد تتصدر احدى القاعات المخصصة لروّاد النهضة الفكرية في العالم العربي امثال اليازجي والبستاني والشدياق وغيرهم .

وفي دار مطرانية السريان الكاثوليك في دمشق يتصدر تمثال نصفي من المرمر الايطالي نُحِت في رومة على نفقة احد تلامذته وعار في فضله .

وفي رومة حيث تلقى علومه تجد اسمه في لوحة الشرف مع المتفوقين والبارزين من تلامذه مدرسة برو بغندا الشهيرة .

وفي سجلات المجمع الفاتيكاني الذي انعقد سنة ١٨٦٩ تجده الشرقي الوحيد الذي سُميّ لاهوتيا ومستشاراً في المجمع .

وفي المجمع السرياني الذي انعقد في لبنان سنة ١٨٨٨ تجده اللولب والمحرّك والمنظم لذلك المجمع وقراراته واحكامه .

أما في وطنه الام وفي الموصل بالذات مدينته التي ترعرع فيها واحبها فتجده قد بقي حياً في قلوب كل من عرفه وتعلم على يديه من السلف ثم تحدث عنه الى الاجيال اللاحقة .

رجلٌ نذر نفسه لله اولا ومن ثم لخدمة الفكر والادب والعلوم والمعارف ، فلم يفكر في المناصب ولا الشهرة وكانت حصيلة حياته خمسة وثمانون مؤلفاً باللغة العربية وغيرها من اللغات ، طبع اكثرها ، وبقي مابقى منها مخطوطاً ومحفوظاً في مكتبات رومة ولبنان ودمشق .

الكل عرف الرجل ، غير ان ماكتب عنه كان لايتعدى الصفحات القليلة تجدها متناثرة في بعض الصحف والمجلات ، وماذكر عنه وعن مؤلفاته في معاجم المطبوعات والمؤلفين .

إلا ان دراسة واحدة متكاملة تتناوله بالبحث والتحليل وتبين مكانته العلمية والادبية والدينية لم تصدر ، وهذا ما حداني ان اخصص له هذه الدراسة التي قسمتها الى بابين بحثت في الاول حياته وآثاره ، وخصصت الباب الثاني لدراسة وتحليل نتاجه الفكري وتقييمه مستنداً على الكتب والمؤلفات الأصلية والتي وجدت صعوبة بالغة في الحصول عليها وجمعها .

كما قمت بكتابة تمهيد للبحث يتناول حالة العراق في القرن التاسع عشر من جميع جوانبها الفكرية والثقافية والاجتماعية .

وختاماً لنا الفخر وكل الفخر ان نعتزَّ بهذا الرجل ابن وطننا البار الذي كان متعلقاً به وبأرضه ، ولم يرضَ انَ يفارقه إلا نزولا عند رغبة والحاح رؤوسائه وتدخل السلطات الدينية العليا فبارحه الى دمشق الشام حيث قضى احدى عشرة سنة في منصب رئيس اساقفتها مكملا مابدأه في الموصل ومنكبا على التأليف والكتابة والنشر حتى وافاه الأجل سنة ١٨٩٠ .

حقاً لقد كان يوسف داؤد رائداً من روّاد الفكر ومثالا يحتذى به على مرّ العصور والاجيال ،

بهنام فضيل عفاص
تموز سنة ١٩٨٤

العراق في القرن التاسع عشر

تمهيد :

شهد القرن التاسع عشر بدايات النهضة الفكرية الحديثة في العالم العربي عموماً ، الا ان مظاهر هذه النهضة تباينت من قطر لآخر تبعا للظروف والعوامل التي اختلفت هي ايضا من مكان لآخر ، فبينما نرى القرن التاسع عشر يشهد نهضة فكرية واسعة في مصر وبلاد الشام ظهرت آثارها في جميع الميادين وخصوصاً في ميدان الصحافة والطباعة وظهور البدايات الاولى في الفن المسرحي والقصصي وبقية فنون الادب ، ظل العراق يعيش بعيداً عن تأثير تلك التيارات وبخاصة في اوائل القرن التاسع عشر .

غير ان مدينة الموصل اختلفت عن بقية مدن العراق المهمة وحتى عن بغداد بسبب اتصالها الوثيق بحلب وبلاد الشام بحكم موقعها على الطريق التجاري وبسبب من مركزها الديني وخصوصا بالنسبة للمسيحيين ، كما ولان حكم الاسرة الجليلية الذي استمر قرابة مئة عام منذ اوائل القرن الثامن عشر وحتى سنة ١٨٢٨ [١] منحها حكما عربيا بعيداً بعض الشيئ عن التحكم العثماني المباشر وكان ذا اثر مهم في نشاطها الادبي واهتمامها باللغة العربية .

ومدينة الموصل التي يقال لها الحدباء وام الربيعين واقعة عند اطلال مدينة نينوى القديمة على الساحل الايمن لنهر دجلة واسم الموصل وضعه العرب بعد الاسلام ، وكانت قرية صغيرة قبل الهجرة تدعى نواردشير أي البلدة الجديدة[٢] .

أما في القرن التاسع عشر فقد كانت الموصل مركز ولاية تشتمل على نيّف ومئة الف نسمة من السكان ، واكثرية سكان المدينة نفسها هم من بقايا القبائل العربية القديمة كقبيلة خزرج وبنو أزدوتميم وقيس وقبيلة تغلب وحمدان ، والبقية هم من بقايا الأمم والطوائف الآرامية الذين انتقلوا اليها تدريجيا بعد خراب مدنهم وقراهم كحصن كيفا ونينوى وما يجاورها من قرى[٣] .

وأكثرية سكان الموصل يدينون بالاسلام إلا ان المسيحيين بطوائفهم الثلاثة الرئيسة يشكلون جزءا لايستهان به من مجموع السكان .

والموصل مركز بطريركية الكلدان منذ ٥ تموز سنة ١٨٣٠ عندما نقل بطاركة بابل على

---

(١) سليمان الصائغ – تأريخ الموصل ج ٢ ص ٣٠٤

(٢) ياقوت الحموي – معجم البلدان

(٣) ابن الاثير – الكامل

الكلدان كرسيهم من آمد على عهد البطريرك يوحنان هرمز ، وترسخت الكثكلة بينهم بعد ان كان اكثرهم على المذهب النسطوري .

أما بالنسبة للطائفة السريانية فكرس الموصل هو مقر المفارنة الذين اخذوا منذ سنة ١١٥٥ يجلسون على كرسي الموصل بعد انتقالهم اليها من تكريت ، ويعتبر المفريان ابن العبري ابرز من احتلّ هذا المنصب .

وعند دخول الكثكلة انقسمت الطائفة الى قسمين : السريان الارثودكس والسريان الكاثوليك ، وكانت ولاية اساقفتها بعد اتحادهم مع السدة الرومانية شاملة جميع السريان القاطنين في بلاد الجزيرة وآثور والعراق حتى البصرة فلما رأي البطريرك انطون سمحيري ازدياد نمو الكثكلة وصعوبة سياسة هذه الابرشية الواسعة الارجاء قسمها الى ثلاث ابرشيات مستقلة هي الموصل وبغداد والجزيرة وجعل لكل منها مطرانا شرعيا في ٢٨ ايلول سنة ١٨٦٢ .

أما مدينة بغداد فكانت مركز الولاية وقاعدتها ، ويبلغ عدد سكانها في تلك الفترة مئتي الف نسمة ، يقال لها الزوراء ودار السلام وتقع على نهر دجلة ، وكانت سابقا مقر الخلافة العباسية حيث نالت شهرة عظيمة في العمارة والتجارة والعلم ولاسيما ايام الرشيد والمأمون ، وفيها جلس زماناً طويلاً جثالقة النساطرة المعروفون بفطاركة المشرق بعد انتقال كرسيهم اليها سنة ٧٦٢ م من المدائن .

وقد قلّ عدد المسيحين في بغداد مع مرّ القرون وخصوصا بعد سقوط بغداد ، وبقت الحال على هذا المنوال حتى مطلع القرن السابع عشر عندما وافى اليها بعض المسيحين لأجل الاتجار والارتزاق ، وفي حدود سنة ١٦٣٠ كان فيها عدد من السريان الذين تبعوا المذهب الكاثوليكي على يد الرهبان اللاتينيين وفي اوائل القرن التاسع عشر هاجر اليها عدد من العائلات السريانية من الموصل وماردين وقراهما وكان اساقفة الموصل يتولون رعايتهم الى ان انفصلت واصبحت مستقلة في ايلول سنة ١٨٦٢ ، اما السريان الارثودكس فقد كانوا في هذه الفترة اقلية ضئيلة .

أما بالنسبة لطائفة الكلدان فقد كان لها في بغداد كيان خاص ويدير الابرشية نائب بطريركي وكانت خاضعة للكرسي البطريركي في الموصل .

العراق في القرن التاسع عشر تأريخياً وسياسيا :

لقد سيطر العثمانيون على العراق سنة ١٥٣٤ وظل تحت حوزتهم فترة طويلة عدا فترات قصيرة سيطر فيها الفرس الا ان العثمانيين سرعان ماعادوا اليه سنة ١٦٣٨ .

ثم دخل العراق في عهد المماليك وذلك عندما اغتصب السلطة في بغداد سليمان باشا الكبير

سنة ١٧٨٠ فأوجد اسرة باشوية جديدة حكمت بغداد حتى سنة ١٨٣١ كان من ابرز حكامها داؤد باشا (١٨١٧–١٨٣١) والذي امتاز حكمه بالاصلاح والانفتاح وشجع العلماء والادباء ، ولكنه لم يستطع الاحتفاظ بمركزه عندما ارسلت الدولة العثمانية جيوشها لفتح بغداد وعزله .

ثم وبعد فترة ليست بالقصيرة عانت بغداد ماعانته من سوء الادارة والولاة جاءها مدحت باشا الوالي المصلح سنة ١٨٦٩ وقام ببعض الاصلاحات وادخل الطباعة الحديثة سنة ١٨٦٩ وأصدر جريد الزوراء في السنة نفسها فكانت أول جريدة تصدر في العراق .

ولكن حكمه لم يستمر سوى ثلاث سنين أو اقلّ اذ نقل عام سنة ١٨٧٢ من العراق قبل ان يستطيع استكمال مابدأ به .

وتعاقب بعده عدة ولاة كانوا يطبقون سياسة الدولة العثمانية في تمكين اللغة التركية من نفوس السكان العرب وجعلها اللغة الرسمية ولم يقوموا بعمل يذكر سوى انشاء بعض المدارس الرشدية التي كانت تعتمد التركية اساساً لها في التدريس مهملة العربية لغة البلاد الاصلية .

ولم يتهيأ لسكان بغداد مدارس حديثة إلا على ايدي البعثات الرهبانية وخصوصا الآباء الكرمليين الذين قاموا بفتح مدرستهم الحديثة منذ بدايات القرن الثامن عشر سنة ١٧٣٧ وطوروها مع الأيام ووسعوا صفوفها ومناهجها ، بحيث اصبحت مدرسة حديثة سنة ١٨٥٨ ، وكذلك المدارس الطائفية للمسيحيين التي تأسست منذ سنة ١٨٧٨ والتي كان يقصدها المسلمون والمسيحيون على السواء .

استمر الحكم العثماني حتى سنة ١٩١٧ حين دخلت القوات البريطانية بغداد اثناء الحرب العظمى الاولى فدخل العراق حينذاك مرحلة جديدة .

أما ولاية الموصل فقد تناوب الجليليون[٤] على حكمها من سنة ١٧٢٦ – ١٨٢٨ وكان ابرزهم حسين باشا الجليلي الذي استطاع ان يقضي على حملة طهماز ويردها على اعقابها سنة ١٧٤٣،ثم تعاقب الولاة الاتراك على الموصل وكانت الولاية دائمة الاضطراب جراء الاختلال الدائم وتوارد النوائب ولقد تعاقب عليها منذ وفاة محمد باشا البيرقداري وحتى دخول الانكليز سنة ١٩١٨ تسعة وخمسون والياً ، ولو رجعنا الى جدول الولاة الذي اثبته سليمان الصائغ في كتابه تأريخ الموصل لوجدنا ملاحظة جديرة بالاهتمام حيث ان أولئك الولاة لم يبقوا في الموصل سوى سنة أو سنتين وذلك على مايظهر لصعوبة الادارة في ولاية الموصل ولظروفها الخاصة .

وعلى الرغم من تلك الظروف فقد شهدت الموصل نشاطاً ملحوظاً وخصوصاً بعد منتصف

---

(٤) ينتمي الجليليون الى جدهم الأعلى عبدالجليل الذي كان يدين بالنصرانية حتى أواخر القرن السابع عشر ثم اعتنقوا الاسلام

لونكريك – اربعة قرون من تأريخ العراق ص ١٩٢ و ص ١٩٣

القرن التاسع عشر ويعزى هذا فيما اعتقد لدخول الطباعة المبكر اليها وقبل غيرها من مدن العراق وهذا ماسنفصله فيما بعد ، والى تأسيس بعض المدارس الحديثة التي اهتم بها المرسلون الدومنيكان من الإقليم الفرنسي منذ سنة ١٨٥٦ والتي فتحت ابوابها لأهالي الموصل من مسلمين ومسيحيين حيث تلقى الطلاب مختلف العلوم والمعارف اضافة الى اهتمامها باللغات الحديثة وتدريسها على اسس حديثة .

الصلات بين العراق والاقطار العربية :

لقد وجدت فلسطين وسوريا والعراق نفسها وعلى حين غرة منجرة في دوامة الاحداث التي كانت تهز اوربا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مع انها كانت اقاليم نائية من الامبراطورية العثمانية .

ولقد تنبهت أول ماتنبهت الى هذه الاحداث عن طريق حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨ التي كان من جملة اهدافها الوصول الى الهند عن طريق سوريا والعراق بمحاذاة نهر الفرات (٥) .

وما يعنينا في هذا المجال ان نعرف كيف بدأ العراق بالتفتح والانتباه الى مايجري في الساحة العربية من مناورات واحداث مهمة ، وقد ساعده على هذا التفتح مولد الصحافة في مصر سنة ١٨٢٨ ثم في بلاد الشام سنة ١٨٥٨ وتسرب هذه الصحف تدريجيا والاقدام على قراءتها للاطلاع على الاحداث الجارية ولعل جريدة الجوائب التي اصدرها احمد فارس الشدياق في الاستانة سنة ١٨٦٠ كانت اكثر الجرائد تداولا في ارض الرافدين (٦) وتلتها جريدة «حديقة الاخبار» التي انشأها خليل خوري سنة ١٨٥٨ وغيرها من الصحف التي بدأت بالانتشار في بلاد الشام فتصل العراق عن طريق وآخر .

وبظهور الطباعة في لبنان وبلاد الشام اولا ثم في مصر وطبع كتب التراث العربي ومؤلفات رواد النهضة امثال اليازجي والبستاني وفرحات والطهطاري استطاع العراقيون ان يطلعوا وربما لأول مرة على نتاج جديد وتراث خالد قدمته تلك المطابع فكان للطباعة اثر بليغ في نهوض العراق ومحاولته اللحاق باشقائه في الاقطار العربية .

وكانت هذه الكتب تصل العراق عن طريق الموصل لقربها من حلب وللصلات الوثيقة بين هاتين المدينتين من نواحي كثيرة والعلاقات التجارية القائمة بينهما ، كما كان للصلات الدينية المسيحية أثر كبير فقد كان مركز البطاركة السريان في ماردين اولا ومرة في حلب واخيرا في

---

(٥) لوتسكي - تأريخ الاقطار العربية الحديثة - موسكو - ١٩٧١
(٦) روفائيل بطي - الصحافة في العراق ص ١٣

لبنان ، أما البطاركة الكلدان فقد تنقل مركزهم بين العراق والجزيرة ، ومعروف مالهذه المراكز من أثر في التنقلات وازدياد التقارب، كما كان دير الزعفران القريب من ماردين ، ودير الشرفة في لبنان من المراكز المهمة لتلقي العلوم والمعارف وكانت مكتبات هذه الاديرة تضم الآلاف من المخطوطات وكتب التراث ثم المطبوعات كماكان لمطبعة دير الشرفة[٧] اثر كبير في احياء التراث وكان السريان الكاثوليك في العراق يقصدونه للدراسة ومواصلة البحث والتتبع والسريان الارثودكس يقصدون دير الزعفران .

هذه المراكز التي كان المسيحيون مرتبطين بها بحكم علاقاتهم الدينية وكانوا يترددون اليها كثيرا فيحملون مايجدونه من مطبوعات وكتب ويتزودون بما يتيسر لهم من علوم ومعارف كل هذه الامور ساعدتهم على الاطلاع والثقافة وتوسيع مداركهم وقد وجدت فعلا في الكثير من مكتبات الاديرة والكنائس القديمة وفي خزائن بعض من رجال الدين القدماء كتباً ومخطوطات وحتى الصحف والمجلات التي كانت تصدر منذ اوائل القرن التاسع عشر وما بعده في بلاد الشام ولبنان[٨]

كما وجدت كتبا ومجلات عربية واجنبية كانت تصدر في اوربا وخصوصا في ايطاليا وفرنسا وقد جاء بها بعض الذين درسوا هناك وتلقوا علومهم في مدارس اوربا . وخصوصا مدرسة بروبغندا الشهيرة التي كان يقصدها الشرقيون وكان لمطبعتها أثر كبير في نشر الكثير من الكتب العربية والسريانية .

أضف الى ذلك اثر الرحلات التي كانوا يقومون بها الى بيت المقدس لزيارة الاماكن المقدسة وكذلك الزيارات والسياحات التي قام البعض بها الى اوربا وامريكا[٩] وغيرها .

وقد نتج عن هذه الاتصالات ان تقوت العلائق الادبية بين العراقيين وخصوصا ادباء الموصل وادباء الشام فكانت مراسلات ادبية ومناظرات يذكر سليمان الصائغ على سبيل المثال ان

---

(٧) تأسست هذه المطبعة سنة ١٨١٦ ثم نقلت الى دير الشرفة في لبنان ويعود هذا الدير لطائفة السريان الكاثوليك ، تواجدت فيه منذ تأسيسه مدرسة وقد جددت وفتحت سنة ١٨٤٢ ولازالت حتى يومنا هذا .

(٨) يتواجد في خزانتي من هذه الكتب كتابان مهمان في النحو والصرف طبعا سنة ١٨٣٦ سنذكرهما فيما بعد .

(٩) نشر الأب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق مجلد ٨ لسنة ١٩٠٥ مخطوطة حققها الأب انطون رباط اليسوعي عنوانها « رحلة أول سائح شرقي الى امريكا » والسائح هو الخوري الياس الموصلي بدأ الرحلة من بغداد سنة ١٦٦٨ وانتهت سنة ١٦٨٣ . وقد نشرت هذه الرحلة سنة ١٩٠٦ في كتاب مستقل .

الشاعر عبدالباقي العمري المعروف بالفوري (١٧٦٩ – ١٨٦١) مدح الشيخ ناصيف اليازجي فأجابه الشيخ بقصيدة من نفس الوزن والقافية . وعارض قصيدة بطرس كرامة فالتحمت المودة بينهما ، وقد هنأه بعد ذلك كرامة على نيله رتبة الكتخدا

وعندما توفي العمري رثاه الشيخ ناصيف اليازجي وابنه الشيخ ابراهيم فأجابهما السيد شهاب الدين العلوي نيابة عن شعراء الموصل :

ابـــنتما لابـــنتما سيـــدا	نحن الى تـــأبـــيـــنـــه نحنو
لولم تـــكـن قـــدســـية روحـــه	لما رثـــــــاه الآب والابنُ[١٠]

كما كان للكثير من رجال الدين صلات وثيقة بامثالهم في الاقطار العربية المجاورة و بأور با حتى انهم كثيرا ماطبعوا بعض مؤلفاتهم خارج القطر في رومة و باريس وفي مصر ولبنان والقدس وقد وجدت عدداً لابأس به من الكتب على اختلاف انواعها ولغاتها طبعها مؤلفوها العراقيون خارج القطر لتعثر الطباعة في العراق آنذاك وقد ربطتهم بتلك المراكز الثقافية صلات وثيقة أفاد منها الجميع

---

(١٠) سليمان الصائغ – تأريخ الموصل ج ٢ ص ٢٦٨

ظهور الطباعة في العراق

يتفق المؤرخون لتأريخ الطباعة في المشرق العربي ان سنة ١٦١٠ كانت فاتحة عهد الشرق العربي بالطباعة حيث انشئت أول مطبعة في دير مار قزحيا وكان باكورة مطبوعاتها كتاب المزامير الذي طبع بعمودين عربي وسرياني وبلغت عدد صفحاته ٢٦٠ صفحة .

وفي حلب ظهرت الطباعة بصورة مبكرة ايضا وذلك في سنة ١٧٠٢ عندما جلب البطريرك دبّاس مطبعة من اوربا وكلف الشماس عبدالله الزاخر بوضع امهات الحروف العربية لها وكان من مطبوعاتها الكتاب المقدس الذي طبع سنة ١٧٠٦ .

ثم ما لبث الشماس الزاخر بعد تمرنه على الطباعة وسبك الحروف ان اسس مطبعة في دير الشوير في لبنان وشرعت في العمل المنظم سنة ١٧٣٤ وبدأت اعمالها بطبع الكتب الدينية ثم التعليمية .

وتوالى تأسيس المطابع فيما بعد في بلاد الشام ولبنان وفلسطين[١١] أما في مصر فقد انشأ محمد علي المطبعة الأهلية والتي عرفت فيما بعد بمطبعة بولاق سنة ١٨٢١ وبعدها تأسست الكثير من المطابع والتي قامت بطبع امهات الكتب العربية وكتب التراث والمعاجم .

أما في العراق فقد تأخر ظهور الطباعة قياساً ببلاد الشام ومصر . ويكاد معظم الباحثين أن يتفقوا على ان أول مطبعة تأسست في بغداد كانت مطبعة حجرية جلبها الميرزا عباس سنة ١٨٦١ وكان من اوائل مطبوعاتها كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» وقد طبع سنة ١٨٦٣ ، وبعده طبعت خمسة كتب اخرى ولم نجد غيرها مما يدعنا نقول عنها انها اهملت وتركت وخاصة بعد ان تأسست مطبعة الولاية التي جاء بها مدحت باشا سنة ١٨٦٩ واستمرت فترة ليست بالقصيرة .

وفي كربلاء ظهرت الطباعة سنة ١٨٥٦ وكانت المطبعة حجرية قامت بطبع مناشير تجارية وكتب ادبية ورسائل دينية حاوية لآداب الزيارة .

ثم طبع فيها كتاب مهم لابي الثناء الآلوسي يحمل اسم «مقامات ابن الآلوسي» ولم نعثر بعده

---

(١١) مجلة المورد العراقية مجلد ١٠ العددان ٣ . ٤ لسنة ١٩٨١ مقالتنا حول تأريخ الطباعة وفيها تفصيلات كثيرة عن الطباعة والمطابع والمطبوعات .

على كتب اخرى مما يدل على ان المطبعة تركت واهملت ولم تظهر في كربلاء مطبعة اخرى الا بعد الحرب العظمى الاولى .

أما في كركوك فقد تأسست مطبعة تابعة للولاية سنة ١٨٨١ وفي البصرة تأسست أول مطبعة سنة ١٨٨٩ ، بينما تأخرت الطباعة في النجف الأشرف حتى ١٩٠٩ .

الطباعة في الموصل :

هذا استعراض سريع لتواريخ دخول الطباعة في بغداد والمدن العراقية المهمة ، أما مدينة الموصل فقد اختلفت الحال فيها حيث شهدت منذ سنة ١٨٥٧ وحتى ١٨٥٩ الطباعة الحجرية وسرعان ما ابدلت هذه المطبعة بمطبعة حديثة جلبت الى الموصل سنة ١٨٦٠ وباشرت اعمالها سنة ١٨٦١ واستمرت في العمل وبدون انقطاع اربعاً وخمسين سنة حتى الحرب العظمى الاولى .

لذا فلابد لنا ان نعرف شيئاً عن الطباعة في الموصل وعن المطبعة لأن اكثر ماألفه يوسف داؤد وما حققه من كتب كثيرة طبع في الموصل وفي هذه المطبعة التي قام بتأسيسها الآباء الدومينكان[١٢] من الاقليم الفرنسي الذين قدموا الموصل سنة ١٨٥٦ وقاموا بفتح مدرستهم الحديثة ، وقد رأوا مدى الصعوبات التي يلاقيها الطلبة في التعلم عن طريق قراءة بعض الصفحات من مخطوطات قديمة فقرروا جلب مطبعة حجرية تساعدهم في طبع الكتب التي يحتاجونها في التعليم ونشر الدين وفعلا تمَّ طبع لوحات لتعليم الطلاب بين تعجب الاتراك والأهالي الذين كانوا يصيحون «الله اكبر» وهم يرون الاوراق البيض تدخل المطبعة وتخرج مطبوعة وبنسخ كثيرة .

وخلال سنة ١٨٥٨ تم طبع كتابين آخرين احدهما في القراءة العربية والآخر في الصلوات .

أما سنة ١٨٥٩ فقد طبع فيها كتاب «خلاصة في اصول النحو» قام بتأليفه يوسف داؤد وهو أول كتاب في النحو العربي والصرف يطبع في العراق وسنتناوله بالدراسة والتحليل في الفصول القادمة .

ولما رأى الدومينكان ان المطبعة الحجرية لاتفي بالغرض قرروا ابدالها بمطبعة حديثة وبالفعل فقد تم لهم ذلك فجلبوا مطبعة حديثة ايطالية الصنع وصلت الموصل سنة ١٨٦٠ وباشرت اعمالها

---

(١٢) الدومنيكان رهبنة منسوبة الى القديس دومنيك (عبدالأحد) وقد ثبت البابا هذه الرهبنة سنة ١٢١٦ . وسمي الرهبان المنتمون اليها بالأخوة الواعظين لأن هدفهم وعظ الناس ونشر الأيمان ومن اهدافهم ايضا نشر الثقافة والعلوم .

قدم الدومنيكان من الاقليم الأيطالي الموصل سنة ١٧٥٠ ، أما الدومنيكان من الاقليم الفرنسي فقد بدأوا عملهم سنة ١٨٥٦ .

سنة ١٨٦١ بطبع كتاب رياضة درب الصليب ثم كتاب في علم الجغرافيا وفي سنة ١٨٦٢ طبعوا كتابا مهما في قواعد اللغة العربية .

وقد تهيأ لمطبعة الدومينكان من يشرف عليها ويرعاها ويغذيها بمؤلفاته وهو يوسف داؤد الذي يعترف الآباء الدومينكان بفضله في نجاح المطبعة وانجازاتها وقد اطلعت على رسالة مهمة محفوظة في ارشيف الدومينكان كتبها الأب شيري احد الآباء الذين عاصروا المطبعة وقد جاء فيها ما ترجمته « ان الشهرة الرائعة التي حصلت عليها مطبعتنا في الموصل ونجاحها انما هو متعلق برجلين اثنين أشرفا عليها اولهما دوفال[13] والثاني يوسف داؤد القس السرياني الذي درس عندنا ثم اكمل دراسته في رومة وهو رجل ذو خدمة متناهية . دؤوب على العمل ، نادر الوجود وهو موصلي الأصل واحد اعضاء رجال الدين البارزين يقوم بنشر الكتب وتأليفها ويتقن لغات كثيرة جعلته يصبح المتخصص الاول في المدينة فهو يتقن اليونانية واللاتينية ويتكلم بأتقان الفرنسية والايطالية والانكليزية ، ويعرف العربية الفصحى . والفارسية والكلدانية وحتى العبرانية لاتصعب عليه» .

وقد استمرت المطبعة فيما بعد وبأشراف يوسف داؤد على اصدار الكتب ومما يلاحظ انها بين سنة ١٨٦٣ – ١٨٦٧ اهتمت كثيرا بطبع كتب التراث العربي التي حققها ونشرها يوسف داؤد ، والتي سنجدها بين مؤلفاته وآثاره .

كما شهدت المطبعة بين سنة ١٨٦٧ – ١٨٩٨ نشاطاً ملحوظاً في مطبوعاتها المنوعة حيث سجلت هذه الفترة طباعة ما ينيف على المئة كتاب بين صغير الحجم وكبيره ، ومنها ما يشتمل على عدة مجلدات في المواضيع الدينية والتأريخية واللغوية والادبية وكان قسم من مطبوعاتها باللغات الكلدانية والسريانية والفرنسية والتركية .

وبعد مغادرة يوسف داؤد الى دمشق عندما عين رئيساً لأساقفتها سنة ١٨٧٨ تولى ادارة المطبعة تلميذه القس لويس رحماني (المطران والبطريرك فيما بعد)[14] وقد اقتفى آثار استاذه فألّف كثيرا من كتب التأريخ وحقق ونقح البعض من مطبوعات المطبعة .

---

(١٣) كيرلس بطرس دوفال ، دومينكي فرنسي تولى ادارة المطبعة ثم رئاسة الآباء قضى في الموصل ما يقارب اربعين سنة وقد تعلم العربية وألف فيها .

(١٤) موصلي ولد سنة ١٨٤٩ وتلقى تعليمه في الموصل ثم ذهب الى رومة ودرس في مدرسة بروبغندا ، كهن سنة ١٨٧٣ ورجع الى الموصل فأبدى نشاطا ملحوظا في التدريس والتأليف والادارة ، سقف سنة ١٨٨٧ وانتخب بطريركا للسريان الكاثوليك سنة ١٨٩٨

له مؤلفات كثيرة وتحقيقات بلغات مختلفة ، أصدر مجلة الآثار الشرقية سنة ١٩٢٦ توفي سنة ١٩٢٩

ومن العاملين البارزين في المطبعة بعد رحماني نذكر نعوم سحّار[١٥] وسليم حسون[١٦] وكلاهما كانا من المؤلفين البارزين ومن المعلمين في مدرسة الدومنيكان ، أما المطبوعات الكلدانية فقد عهد امر الاشراف عليها الى القس يعقوب أوجين منّا (المطران فيما بعد) . الذي برز فيما بعد في تآليفه الكثيرة والمهمة في اللغة الآرامية .

استمرت مطبعة الدومنيكان في خطتها في طباعة الكتب على اختلاف انواعها حتى الحرب العظمى الاولى حين توقفت بسبب الحرب ومضايقة الاتراك ، ولم تعاود نشاطها الا بعد الحرب بفترة قصيرة وذلك سنة ١٩٢٣ .

ومما يذكر ان الدومينكان ساهموا في حقل الصحافة فأصدروا سنة ١٩٠٢ مجلة اكليل الورود والتي تعتبر أول مجلة تصدر في العراق استمرت حتى سنة ١٩٠٩ .

يظهر لنا مما سبق مدى ما قدمته هذه المطبعة من خدمات للفكر العراقي بما نشرته من كتب التراث واللغة والتأريخ والدين في وقت مبكر من القرن التاسع عشر[١٧] وقد بلغ عدد مطبوعاتها خلال هذه الفترة ١٥٢ كتاباً في مختلف المواضيع علما ان اكثر الكتب تحتوي على عدة اجزاء ومنها عدة مجلدات وقد طبع منها فيما بعد عدة طبعات بلغت احيانا الخمس طبعات وظهر لنا من تأريخ تأسيسها انها معاصرة لمطبعة كربلاء الحجرية التي لم تصمد ولم يطبع فيها إلا القليل لذا فأنها تعتبر أول مطبعة في العراق تؤسس وتصمد فترة طويلة وتنتج كثيرا وهي على كل حال سبقت مطبعة الولاية في بغداد التي جلبها مدحت باشا بعشر سنين .

هذه الأمور وغيرها جعلتنا نبدي اهتماما ملحوظاً بهذه المطبعة والتي سنعتمد على نتاجها فيما سنقدمه من دراسة تحليلية لمؤلفات يوسف داؤد والتي طبع أكثرها في هذه المطبعة .

ومن مطابع الموصل الاخرى التي تأسست في هذه الفترة نذكر المطبعة الكلدانية التي تأسست سنة ١٨٦٣ وقد جلبها الشماس روفائيل المازجي وتكلف بأنشائها ومصاريفها ، إلا

---

(١٥) موصلي ولد سنة ١٨٥٩ وتوفي سنة ١٩٠٠ ، له مؤلفات كثيرة اهمها مسرحية لطيف وخوشابا التي طبعت ١٨٩٣ وتعتبر أول نص مسرحي مطبوع في العراق .

(١٦) ولد في الموصل سنة ١٨٧٣ مارس التعليم والادارة في مدارس الدومنيكان ، سكن بغداد وبرز في حقل الصحافة توفي سنة ١٩٤٧

(١٧) راجع فهارس مطبوعاتها المفصلة في مجلة المورد مجلد ١٢ عدد سنة ١٩٨٣ حيث قمنا بتفصيل مطبوعاتها وتقسيمها في اربعة حقول هي اللغة والمعاجم ، والتأريخ ، والادب والتراث ، والكتب الدينية على اختلافها

من صفحة ٢٥ وحتى صفحة ٣٧ من المجلة المذكورة .

انها لم تصمد كثيرا ولم تستمر في عملها وخصوصاً بعد وفاة مؤسسها ، وقد قامت بطبع بعض الكتب الدينية وكتابين في مواضيع ادبية وتعليمية ألفها المطران جرجيس عبد يشوع الخياط (البطريرك فيما بعد)[١٨] كما تأسست مطبعة الولاية سنة ١٨٧٥ وكانت خاصة لمطبوعات الولاية ومنشوراتها .

الحالة الثقافية والادبية في العراق خلال القرن التاسع عشر

ترك لنا الرحالة الانكليزي Buching ham بكنكهام تقريراً عن الادب واللغة الدارجة بين الناس في اوائل القرن التاسع ايام الوالي داؤد باشا حوالي سنة ١٨٢٧ اذ قال :

«لقد دهشت اول دخولي بغداد ، إذ وجدت اللغة التركية كثيرة التغلغل ويفهمها الناس أكثر مما يفهمون العربية مع ان المدينة محوطة بالاعراب من جميع جوانبها اكثر من دمشق وحلب والموصل حيث يشيع اللسان العربي في كل منها»

ويعود الى القول ثانية :

«وان مستوى الادب هنا واطئ جداً اذ ليس هناك من يعرف مجموعة من كتب جيدة أو مجموعة خطية في كل المدينة»[١٩] .

وذكر لنا بعض الباحثين في الحالة الثقافية والادبية في العراق خلال هذه الفترة وفي عصر النهضة أنّ العراق كان ولسوء الحظ اقل نهضة واطول ركوداً ، اذ لم يجد من الاستقلال عن الدولة العثمانية ماوجدت مصر عند محمد علي وذريته ، ولم يتوجه اليه المرسلون الاجانب لفتح المدارس ، وكانت الدولة العثمانية تعده منفى للمغضوب عليهم ، ومن تثقف من ابنائه فثقافته عسكرية في الاستانة ولهذا تأخرت نهضته الى عهد فيصل . ولم يكن له من الثقافة الجديدة شيء يذكر لانصراف معاهده الى تعليم المواد العربية القديمة . وكان النابغون فيه محدودي الثقافة وابرزهم في النصف الاول من القرن التاسع عشر الشهاب الآلوسي (١٨٠٢-١٨٥٤) صاحب كتاب التفسير المشهور[٢٠] .

---

(١٨) موصلي الأصل ولد سنة ١٨٢٨ ودرس في الموصل ثم في مدرسة بروبغندا مع زميله يوسف داؤد . كهّن سنة ١٨٥٣ وسقّف سنة ١٨٦٠ . وفي سنة ١٨٩٤ انتخب بطريركا لطائفة الكلدان . توفي سنة ١٨٩٩ ودفن في بغداد .

له مؤلفات كثيرة وبلغات متعددة ، وقد ساهم في اعمال مطبعة الدومنيكان والمطبعة الكلدانية في الموصل .

(١٩) داؤد سلوم – تطور الفكرة والاسلوب ص ٣٨ ، ٣٩ نقلا عن بكنكهام

(٢٠) حنا الفاخوري – تأريخ الادب العربي ص ٩٠٣

أما الباحثون العراقيون الذي كتبوا عن القرن التاسع عشر فقد ركزوا على الشعر والشعراء لأنه في نظرهم كان المسيطر الوحيد على الميدان الادبي واستطاعوا ان يبرزوا شيئاً من المعالم الادبية والفكرية التي عالجها الشعراء في قصائدهم والتطورات التي طرأت على الشعر واغراضه[٢١] غير ان قليلا من الباحثين تنبهوا الى التطورات التي حدثت في الفكر العراقي متمثلا بالنثر وفنونه المختلفة[٢٢] وحتى هؤلاء لم يتوفقوا في اعطاء فكرة واضحة المعالم عن تلك التطورات وذلك بسبب اقتصار دراستهم على بغداد وبعض المدن الاخرى فلم يتناولوا في بحثهم الموصل التي شهدت بدايات النهضة ربما قبل غيرها من مدن العراق لأسباب أتينا على اكثرها فيما سبق وخصوصا في النصف الاخير من القرن التاسع عشر، كما لم يذكروا شيئا عما طبع في مطابعها من كتب جديرة بالدراسة والتتبع ومن ظهر فيها من مؤلفين بارزين اللّهم إلا الشيء القليل عن بعض الشعراء ومنهم عبدالباقي العمري والاخرس والمؤرخين محمدامين العمري وياسين العمري.

وعلى نطاق القطر ركزوا كما قلنا على الشعر والشعراء بينما لم يجدوا من الكتاب غير ابي الثناء الآلوسي والعلامة محمود شكري الآلوسي وعثمان بن سند ونعمان الآلوسي ومعروف النودهي وابراهيم فصيح الحيدري وعبدالرحمن السويدي.

وقد خصَّ هؤلاء الباحثون ابا الثناء الآلوسي بدراسة مفصلة لأنه بلا منازع كان ابرز من ظهر في هذه الفترة من الكتاب.

يقول الدكتور يوسف عزالدين في معرض حديثه عن اغراض النثر:

«اصبحت اغراض النثر محدودة بالمسجد والدين وما يتعلق بهما من شعائر وواجبات، ولم نجد للفكر الحديث اثرا ولا للاغراض الجديدة سبيلا كالقصة الحديثة والمقالة التي تعالج مشكلات المجتمع وقضاياه، أما النقد فلا أثر له غير التقاريظ والثناء والمديح الذي طفحت بكثير منها الكتب»[٢٣].

غير اننا سنجد عند تتبعنا لتطور الفكر العراقي وخصوصاً في الموصل متمثلا في مطبوعاتها ونتاج كتابها ما يلقي الضوء على الكثير من تلك الآراء ويفتح مجالا لمناقشتها ودراستها.

---

(٢١) اهم هذه الدراسات:
نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر – الدكتور محمد مهدي البصير
الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر / ابراهيم الوائلي بغداد ١٩٦١
الشعر العراقي في القرن التاسع عشر / يوسف عزالدين بغداد ١٩٥٧

(٢٢) ومنهم
داؤد سلوم – تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي – بغداد ١٩٥٩
يوسف عزالدين – تطور الفكر الحديث في العراق، بغداد ١٩٧٦

(٢٣) المصدر السابق ص ١٣

الباب الاول
حيـــاته واثـــاره



صورة زيتية للمطران اقليميس يوسف داؤد للرسام خوري

نقلا عن كتاب السلاسل التأريخية في اساقفة الأبريشيات السريانية للكونت فيليب طرازي

ولادته ونشأته :

هو يوسف بن داود بن الشماس بهنام ، ينتمي الى آل زبوني ، وعائلته من العوائل المسيحية المعروفة في الموصل اتخذت هذا اللقب منذ اواخر القرن الثامن عشر ، الا انه لم يستعمل هذا اللقب، الا مرة واحدة وذلك في اول كتاب صدر له وطبع في الموصل[1] ، ثم تركه واصبح يسمي نفسه يوسف داود مضيفاً اليه القابا كنسية مختلفة وهذا مما حدا بالبعض ان يظن ان هناك اختلافا في الاشخاص[2] .

لذا ودفعا للالتباس ارى ان اثبت هذه الاسماء كما وردت في مؤلفاته المختلفة وهي :

القس يوسف داؤد تلميذ مدرسة بروبغندا

الخوري يوسف داؤد السرياني

الخوري يوسف داؤد الموصلي

اقليمس يوسف داؤد رئيس اساقفة دمشق

اما ولادته فكانت في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩ في بلدة صغيرة شمال الموصل تدعى العمادية كان ابوه قد ذهب اليها جريا وراء الرزق واقتبل العماذ فيها ، وعند بلوغه الخامسة من عمره عاد به ابوه الى الموصل وادخله في مدرسة الطائفة الاولية حيث تلقى اصول الدين ومبادئ اللغتين العربية والسريانية .

ثم دخل في مدرسة المرسلين التي انشأها اوجين بورة Bore[3] في حدود سنة ١٨٤٠ فقرأ هناك الصرف والنحو على يد القس انطون غالو الكلداني كما درس مبادئ اللغة الفرنسية .

وفي سنة ١٨٤٢ شرع يقرأ على الآباء الدومنيكان «من الاقليم الايطالي» مبادئ اللغة الايطالية ، واظهر على صغر سنه نباهة وذكاء حتى انه كان في مقدمة اقرانه في العلم والفضيلة ونال رضا معلميه ، وكان ولوعا بالقراءة منذ صباه لا يفارق الكتاب ، وقد ربا على ذلك ونشأ فيه واستمر عليه في جميع مراحل حياته .

---

(١) خلاصة في اصول النحو – مطبعة الدومنيكان – موصل سنة ١٨٥٩ طبعة حجرية – وقد ورد اللقب والاسم في خاتمة الكتاب

(٢) كحالة – معجم المؤلفين دمشق ١٩٥٧

ذكره في الجز الاول ص ٣٠٩ تحت اسم اقليمس ثم ذكره في الجز ١٣ ص ٢٩٨ تحت اسم يوسف داؤد وعدد لكل واحد عددا من المؤلفات .

وكذلك فعل الزركلي في الاعلام فقد ورد ذكره في الجز الاول ص ٣٤٣ وفي الجز التاسع ص ٤٠٥

(٣) ذكر هذا الرجل فيليب طرازي في كتابه القلادة النفيسة ص ٦ وذكر انه فرنسي دخل فيما بعد رهبنة اللعازاريين ثم صار رئيسها العام .

وبالنظر لتفوقه اختاره المطران عيسى محفوظ بالاتفاق مع الاب يوسف والركا للدراسة في مدرسته بروبغندا[٤] فكان بذلك اول موصلي من الطائفة السريانية يرشح للدراسة في رومة.

غادر يوسف داؤد الموصل في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٤٥ متوجها الى بيروت، ولابد لنا من ان نتصور صعوبة الاسفار ومشاقها آنذاك وخصوصا لشاب لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره وفي هذا دليل على تصميم وعزم لمواصلة الدراسة وشغف بالعلم والمعرفة.

وعند وصوله بيروت نصحه القاصد الرسولي ان يلبث فيها ريثما يطيب السفر في البحر فأستغلَّ الفرصة ودخل المدرسة اليسوعية في غزير حيث قضى ستة اشهر استغلها في تعلّم اللغة اللاتينية وبعض العلوم الاخرى.

ثم غادر بيروت في نهاية مايس ١٨٤٦ متوجها الى رومة.

دراسته في رومة:

وصل يوسف داؤد الى رومة فاحتضنته المدرسة الاربانية (بروبغندا) والتقى فيها بتلميذ كلداني من بلدته هو جرجس بن الياس (البطريرك جرجس عبد يشوع الخياط فيما بعد) فأنس به وزامله.

وقدانكبّ على الدراسة واخذ يغرف العلم ويتابع تعلم اللغات فعكف على اكمال دراسته في اللاتينية والفرنسية والايطالية اضافة الى الانكليزية، كما اخذ يتابع بنفسه اليونانية والعبرانية والسريانية لعلمه بأهمية هذه اللغات القديمة في دراسته وكأنه كان يخطط للمستقبل ويعرف مقدما حاجة بلاده الى من يتقن هذه اللغات ويتفقه بها، ويذكر عنه طرازي ان اللغات التي اتقنها في حياته بلغت عشرين لغة بما فيها من اللغات القديمة والحية. واستطاع في اثناء فترة دراسته ان يثبت مقدرة فائقة فلمع اسمه وجذب اليه الانظار بفطنته وذكائه، وعرف كيف يستفيد من السنوات العشر التي قضاها في رومة فائدة قصوى، ونستطيع هنا ان نقول انها كانت سنوات خصبة مليئة بالفائدة والتفقه بالعلوم والمعارف والاستزادة من ينابيع العلم، كما كانت سنوات تهيؤ لما انتجه في مستقبل حياته، ولقد ساعدته مكتبة بروبغندا الغنية بكتبها ومخطوطاتها وكذلك المكتبة الفاتيكانية وغيرها من مكتبات رومة على التتبع والاستفادة.

---

(٤) تسمى ايضا مدرسة انتشار الايمان. اسست بموجب مرسوم بابوي سنة ١٦٢٥ وبقيت حتى سنة ١٦٤١ في حمى الكرسي الرسولي، ثم الحقت بمجمع انتشار الايمان.
تلقى في هذه المدرسة الكثير من الشرقيين دروسهم اللاهوتية والفلسفية وقد الحق بالمدرسة مطبعة طبعت الكثير من الكتب بلغات مختلفة ومنها العربية.

انتهت تلك السنين العشر وجاء دور الامتحان الذي اجري في ٣٠ تموز سنة ١٨٥٥ فنال براءة الملفنة في اللاهوت والفلسفة وكوفئ باربع جوائز فضية وذهبية لتفوقه على اقرانه الذين كان عددهم ينيف على المئة في المدارس الاربع الملحقة ببرويغندا(٥) وبعد انتهاء دراسته رقاه السيد كيجي نائب البابا في ٢٥ اذار سنة ١٨٥٥ الى درجة الكهنوت ثم قابل البابا بيوس التاسع الذي منحه بركته واثنى على ذكائه وتفوقه.

بدأ يوسف داؤد بعد انتهاء دراسته بالتهيؤ للرجوع الى وطنه بلهفة وشوق فغادر رومة في منتصف آب سنة ١٨٥٥ عائدا الى بلاده مارا ببيروت حيث قضى في دير الشرفة فترة قصيرة استغلها في مطالعة الكتب والمخطوطات الثمينة التي تحفل بها مكتبة الدير ثم غادرها الى الموصل فوصلها في شهر تشرين الثاني من السنة نفسها.

نشاطه في الموصل :

وصل يوسف داؤد الى الموصل في الوقت الذي كانت فيه الطائفة السريانية بأمس الحاجة اليه ، فقد فقدت الطائفة قبل وصوله راعيها الذي ارسله الى رومة وكانت تعاني قلة في رجال الدين . فشمر عن ساعد الجد واخذ يعمل بدأب وهمة ونشاط في سياسة الرعية ، واخذ يلقي المواعظ ويشرح عقائد الايمان بأسلوب حديث مشوق جذب اليه الناس ، ثم لحق به زميله وقريبه القس بهنام بني فعملا في الحقول الدينية وقد سمعت من شهود عيان ان المسيحيين بدأوا يتقاطرون لسماع مواعظه ودروسه بشوق ولهفة . ثم وجه همه الى الناحية الاجتماعية آخذا في رعاية الفقراء والمعوزين وتأسيس الاخويات والجمعيات الخيرية ، كما مارس مهنة الطب في وقت لم يكن في الموصل طبيب قانوني ، متخذا علمه ومطالعاته في المخطوطات العربية القديمة وكتب الطب وما كسبه من ثقافة علمية عامة خلال دراسته فنجح في اسعاف الكثيرين ومعالجتهم فأحبه الناس وازدادوا تعلقا به وخصوصا عندما فشت الكوليرا في الموصل فجند نفسه لخدمة المصابين واسعافهم وقد منح الوسام المجيدي فيما بعد تقديرا لدوره المشرف في اسعاف المصابين.

ثم وجد ان مدينته وطائفته بالذات مفتقرة الى المدارس فوجه همه الى هذه الناحية المهمة ، وصادف في تلك الفترة ان قدم الاباء الدومنيكان من الاقليم الفرنسي ليحلوا محل الايطالين وليجددوا الرسالة فأتفق معهم سنة ١٨٥٦ على افتتاح مدرسة في جوار كنيسة الطاهرة واخذ يعلم فيها الصرف والنحو العربي ومبادئ اللغتين الايطالية والفرنسية وبعض

---

(٥) من بين زملائه الشرقيين البارزين : بهنام بني الموصلي (البطريرك فيما بعد) والقس الدكتور لويس صابونجي (مؤلف وصحفي) وجرجس الياس (البطريرك خياط فيما بعد).

ساكنة نحو فَهْ وزهْ وبهْ . ويجوز ايضاً في غير ذلك [illegible]

آخر نحو لا تدرِنَّه ولا تخفه ولا تلقه وعلامه وخاتمة [illegible]

قال المؤلف هذه الرسالة القس يوسف بن داود الزبونجي [illegible]

ما اردت بسطه في هذه الرسالة من شروحات هذا الفن [illegible]

رأيت ان اصطلح عليه تسهيلا للحفظ بطلبته [illegible]

في أن ازحزح عنه ما يؤدي في مؤلفات [illegible]

التي يمكن الاستعمال عنها [illegible]

والحمد لله رب العالمين آمين

تم الكتاب

صفحة مصورة من كتاب «خلاصة في اصول النحو»
«عن نسخة المتحف العراقي» ويبدو اسم المؤلف في الخاتمة هكذا
«القس يوسف بن داؤد الزبونجي»

خلاصة

في أصول النحو

بطريقة جديدة

تسهل مأخذها للمبتدئين

طُبع في الموصل

لدى الآباء الدمنيكيين

سنة ١٨٥٩

مصور للصفحة الاولى من كتاب «خلاصة في اصول النحو» طبع حجر سنة ١٨٥٩ وهو اول كتاب في النحو والصرف العربي يطبع في العراق تتواجد نسخة من الكتاب في مكتبة المتحف العراقي في بغداد .

العلوم الدينية ، ثم وجد الدومنيكان ان هذه المدرسة لا تفي بالمرام فافتتحوا مدرستهم سنة ١٨٥٧ في قلب المدينة قريبا من ديرهم واقاموه استاذا اول فيها[٦] فأخذ يلقن تلاميذه الذين بدأوا يقصدون المدرسة من مختلف الملل والنحل مسلمين ومسيحيين ويعلمهم مبادئ لغتهم العربية بصرفها ونحوها وسائر العلوم الاخرى ، يساعده في ذلك بعض الاباء الدومينكان .

وفي هذه الفترة بالذات ظهرت الحاجة الى ادخال الطباعة كي يتهيأ للطلبة كتب يقرأون فيها ولتعوض عن الطرق البدائية في قراءة المخطوطات واستنساخها ، وبالفعل فقد اهتم الاباء الدومنيكان بجلب مطبعة حجرية لطبع بعض الكتب ، فأخذ يوسف داؤد على عاتقه تأليف كتاب لغوي يجمع فيه قواعد اللغة العربية وبطريقة حديثة فأخرج هذا الكتاب وطبعه في المطبعة الحجرية سنة ١٨٥٩ وسماه «خلاصة في اصول النحو بطريقة جديدة» فكان هذا الكتاب باكورة اعماله اللغوية ، كما انه يعتبر اول كتاب في قواعد اللغة العربية يطبع في العراق[٧] .

وبعد ذلك جلب الدومنيكان مطبعتهم الحديثة من فرنسا في نهاية سنة ١٨٥٩ فجعلوه مشرفا اول على المطبعة فقام بهذه المهمة خير قيام ، وتوالت تآليفه ومطبوعاته المختلفة في جميع المواضيع اللغوية والتاريخية والادبية والدينية التي سنتكلم عنها فيما بعد ،كما اهتم بتأليف الكتب المدرسية نظرا لحاجة الطلبة اليها فألف وترجم كتبا في الحساب والجغرافية والتاريخ واللغة والاداب وهو في هذا يعتبر من الاوائل الذين زودوا الشرق العربي بكتب منقحة على الطريقة المدرسية[٨] .

ومما يذكر في هذا المجال ان الاب شيري CHERY يعترف في رسالة له الى مجلة السنة الدومنيكية Annee Dominicaine كتبها سنة ١٨٦٧ بأن الشهرة التي حصلت عليها مطبعة الدومنيكان في الموصل ونجاحها انما يعود الى اهتمام واشراف يوسف داؤد والى تآليفه الكثيرة وتحقيقاته التي زود بها المطبعة[٩] .

وبعد ان ذاع صيته وحصل على شهرة ومقام بارزين ، رشحه البطريرك انطون سمحيري الموصلي لمنصب رئيس اساقفة الموصل ، ولكن اعتذاره عن قبول الاسقفية حدا بالبطريرك ان يرشح زميله القس بهنام بني لهذا المنصب فقام هو الآخر فيما بعد بتكريم يوسف داود ورقّاه الى درجة الخوراسقف وعهد اليه النيابة العامة على الأبرشية .

ولم تنحصر شهرة الرجل على الطوائف المسيحية بل تجاوزتها الى المسلمين من ابناء الموصل فكانت له علاقات ادبية وشخصية بادباء الموصل وعلمائها ، وكان يحضر اجتماعاتهم ومجالسهم

---

(٦) القلادة النفيسة ص ١٠ .

(٧) انظر مجلة المورد مج ١٢ عدد ٢ سنة ١٩٨٣ مقالتنا حول الطباعة في العراق ص ٢٥ .

(٨) طرازي - السلاسل التاريخية ببروت سنة ١٩١٠ ص ٢٩٤ .

(٩) الرسالة محفوظة في ارشيف الاباء الدومنيكان في الموصل وبغداد .

واتقن تجويد القران الكريم وجوده في مناسبات خاصة[10] وعندما اصدر كتابه اللغوي الثاني الذي سماه «التمرنة في الأصول النحوية» طبعه سنة ١٨٦٩ اعجب به علماء اللغة والمهتمون بها فأعاد طبعه سنة ١٨٧٥ وصدّره بتقريظ لاربعة من علماء الموصل وشعرائها المسلمين[11] وكلهم يثنون على عمله وعلمه وادبه مما يدل دلالة واضحة على مكانة يوسف داؤد في المجتمع الموصلي فقد استطاع ان يحصل خلال فترة قصيرة من عمله في الموصل على مكانة مرموقة بين ابنائها على اختلاف مللهم ونحلهم وطوائفهم .

دوره في المجمع الفاتيكاني الاول سنة ١٨٦٩ :-

ان الفضيلة والعلم اللذين اتصف بهما هذا الرجل اكسباه ثقة الكرسي الرسولي كما ان شهرته خرجت من نطاقها في الموصل لتصل رومة وبلاد الشام وغيرها من البلدان فبتاريخ ٣٠ ايلول سنة ١٨٦٧ ارسل الكردينال برنابو رئيس مجمع انتشار الايمان في رومة رسالة الى الخوري يوسف داؤد يخبره فيها بأنه وفقا لامر البابا بيوس التاسع فقد عين مستشارا في لجنة الكنائس الشرقية وهي واحدة من خمس لجان مهمة اقامها البابا استعدادا للمجمع الفاتيكاني . فأخذ الرجل يتهيئا لهذه المهمة التي صادفت هوى في نفسه لعلاقتها بتاريخ الكنائس الشرقية ، وبدأ يجمع ويستنسخ الكثير من الكتب المهمة ويحضر الابحاث والدراسات اللازمة ، ثم دعي بصورة رسمية الى المجمع الذي افتتح سنة ١٨٦٩ فسافر يحمل معه عددا كبيرا من الكتب المخطوطة بالعربية والسريانية والدراسات التي اعدها ، وعند وصوله رومة استأنف العمل فكتب مقالات شتى باللاتينية والايطالية ضمنها البحث في ابواب مختلفة طقسية وتهذيبية وجرت المذاكرة في شأنها في الجلسات السرية ثم طبعت في المطبعة السرية اثناء انعقاد المجمع .

وقد سمي لاهوتيا ومستشاراً في المجمع ، ويؤكد طرازي انه كان الوحيد من الشرقيين والعرب الذي نال هذا اللقب ، ثم عين مترجما لاعمال المجمع في اللغات المختلفة بمقتضى امر مؤرخ في ٥/كانون الاول سنة ١٨٦٩ بالنظر لمعرفته واتقانه الكثير من اللغات الحية والقديمة .

وخلاصة القول ان الرجل استطاع ان يحصل خلال فترة انعقاد المجمع على شهرة واسعة بعد

---

(١٠) طرازي – السلاسل التاريخية ص ٣٠٣ .

(١١) لنظر مقدمة كتاب التمرنة في الاصول النحوية ط ٢ سنة ١٨٧٥ موصل – دومنيكان وهم : الملا سلطان افندي بن حسن . وعبدالله فيضي امام العلماء . وعبدالله الشلشي المتطبب . والشاعر شهاب العلوي

ان كانت شهرته لا تتعدى نطاق وطنه ، كما ابدى براعة في الميادين كافة وفي كل ما عهد اليه ، وقد استغل الفرصة لطبع بعض نتاجه وخصوصا ما يتعلق بالقضايا الشرقية وتقاليد كنائس الشرق وطبعه باللاتينية في رومة ، وهكذا عرفه الكثيرون وقدروا فضله ، ولم يلبث ان عاد الى الموصل في تشرين الثاني سنة ١٨٧٠ بعد ان توقفت اعمال المجمع بسبب المشاكل السياسية السائدة انذاك في ايطاليا واوربا .

نشاطه الادبي والديني في الموصل بين سنة ١٨٧٠ - سنة ١٨٧٩ :-

عاد الخوري يوسف داؤد الى الموصل ثانية وهو على اتم ما يمكن من الاستعداد للعمل الدؤوب مستفيدا من خبرته وتجاربه السابقة واطلاعه ، وكان ان وجه همه في هذه الفترة الى دراسة التاريخ الكنسي بوجه خاص والتواريخ الاخرى بوجه عام فترجم اولا كتابا في التواريخ الكنسية كان قد الفه المعلم لومون الفرنسي وذيله بفوائد وملاحظات كثيرة عن الكنائس الشرقية وطبعة سنة ١٨٧٣ وسماه مختصر تواريخ الكنيسة ، ثم اصدر كتابا آخر من تأليفه سماه «مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة» وطبعه سنة ١٨٧٧ .

ثم وجه همه الى الكتاب المقدس فعمد الى تصحيح الترجمة العربية على افضل الترجمات المقبولة في الكنيسة وعلق الحواشي وشرح الغوامض واستغرق العمل اربع سنوات متواصلة حيث بوشر بطبعه سنة ١٨٧١ واستمرت الطبعات متوالية فجاءت الترجمة العربية من احسن الترجمات وادقها ولا زال المختصون يشيدون بهذه الترجمة على كثرة ما صدر بعدها من ترجمات وطبعات .

وفي نفس الوقت كان قد بدأ بمراجعة الترجمة السريانية للكتاب المقدس المعروفة (بالبسيطة) وشرع في طبعها منذ سنة ١٨٧٢ .

وانصرف كذلك الى ترجمة (الحسايات»[١٢] التي كانت تقرأ في المناسبات الدينية الى العربية فضبط لغتها ونقحها وطبعها سنة ١٨٧٩ .

ثم اقدم على تأليف كتاب واف في قواعد اللغة السريانية سماه «اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية» وطبعه سنة ١٨٧٩ في جزئين ولا زال هذا الكتاب الى يومنا هذا من احسن ما الف في نحو اللغة السريانية وصرفها .

والف في هذه الفترة ايضا الكثير من الكتب الدينية والطقسية بحيث اننا نستطيع القول ان هذه الفترة كانت من اخصب فترات حياته عملا وانتاجا .

وفي خضم هذه الاعمال الادبية والدينية التي كان منهمكاً فيها كانت ترد اليه بين الحين والاخر

---

(١٢) كلمة السريانية تعني الغفرانات او الاستغفارات وهي صلاة مسهبة تتلى في المناسبات الدينية .

دعوات من رؤوسائه لتولي مناصب دينية عليا ولكنه كان يقابلها بفتور وبالاعتذار الجاد ، ولكن لما شغر كرسي دمشق سنة ١٨٧٦ توجهت الانظار كلها الى انتخابه وكتب اهل دمشق طلبا في ذلك وقدموه الى البطريرك فلم يكن منه الا ان ارسل صورة الاجماع الدمشقي مصحوبا برسالة موجهة اليه في ٦ تموز سنة ١٨٧٨ يحثه فيها على قبول الانتخاب ، فحل هذا الخبر حلول الصاعقة ، وهنا بدأت مراسلات تبادلها مع رؤوسائه يبدي فيها اعتذاره ورفضه الشديدين موضحا انه لم يخلق لمثل هذه المناصب ويدعو الى تركه في بحوثه ودراساته .

ومن يطلع على هذه المراسلات يستطع الخروج بنتائج تتعلق بنفسيته واخلاقه واهمها في نظرنا تواضعه وعدم رغبته في المناصب وتسليط الاضواء . ورغبته الشديدة في البحث والتتبع . وكذلك تعلقه ببلدته ووطنه تعلقا شديدا دفعه الى عدم التفريط بهما والابتعاد عنهما وهذا ما جعله يقول بالحرف الواحد في احدى رسائله :

«فإن كان هذا العمل من جهتكم دليلا ساطعا على حب زائد وافر فهو من جهتي ضرر عظيم واذى جسيم»[١٣] واخيراتدخلت رومة ومجمع انتشار وعرضت القضية على البابا لاون الثالث عشر فأيد انتخابه ووردت اليه رسالة من الكردينال سيميوني ، رئيس المجمع مؤرخه في ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٧٨ كانت فصل الخطاب فيها يطلب منه ان يذعن ويقبل الانتخاب لكرسي دمشق .

عند ذاك لم يجد مناصا من الامر فامتثل للاوامر وقرر السفر الى حلب لاقتبال الدرجة الاسقفية ، وكان حزن الموصل على فراقه بيّنا واضحا فقد خسروا ابا ومعلما وصديقا عاش بينهم وعمل خلال ثلاث وعشرين سنة في مختلف الميادين ، كما خسرت مطبعة الدومنيكان ابرز المشرفين عليها ، ولو بقي على ادارتها لضارعت ثمراتها المطبعة الكاثوليكية في بيروت[١٤] .

ولا ننسى كذلك ان فراق الرجل لبلدته واهله بعد ان عاش معهم قرابة نصف قرن كان من اشد الامور عليه وخصوصا في من كان بمثل تعلقه ولكنه اذعن اخيرا وسافر مودعا من اهالي الموصل في ١٦ اذار سنة ١٨٧٩ قاصدا حلب حيث اقتبل الرسالة الاسقفية في نيسان من السنة نفسها واتخذ اسم «اقليديس» مضافا الى اسمه ثم توجه الى دمشق فاستقبله اهلها استقبالا حسنا

---

(١٣) طرازي – القلادة النفسية من ص ١٦–١٨ ولمعرفة طبيعة المراسلات التي جرت في هذه القضية يراجع :

طرازي – السلاسل التاريخية من ص ٢٩٦–٣٠١

(١٤) بطي – روفائيل مجلة لغة العرب مج ٤ ص ١٩٨

منجذبين بما سمعوه عن شهرته وتآليفه وسعة معارفه وتسلم زمام ابرشية دمشق السريانية في ٢٣ مايس ١٨٧٩ وبقي فيها حتى وفاته.

اسقف دمشق :-

اقبل يوسف داؤد بعد توليه زمام الاسقفية على العمل بغيرة ومسؤولية فرتب حال الكهنة وانعش روح الطقس السرياني وانشأ الاخويات التي كان يديرها بنفسه واقام مجلسا طائفيا للنظر في شؤون الابرشية مما يدل على روح ديمقراطية، كما فتح المدارس الطائفية في دمشق وقرى الابرشية لتثقيف الفتيان والفتيات، واعتنى بتنظيم مكتبة للدار الاسقفية[١٥] جمع فيها الكثير من الكتب المخطوطة والنادرة اضافة الى الكتب الاخرى المطبوعة وفي لغات مختلفة[١٦].

ثم اخذ على عاتقه ضبط الفناقيث اي كتب الصلوات القانونية وكان قد بدأ العمل فيها منذ كان في الموصل فقرر اكماله منكبا على العمل الذي استغرق منه زمنا طويلا ثم بدأ بطبعها في سبعة مجلدات متسلسلة اعتبارا من سنة ١٨٧٩ وحتى ١٨٨٨ ولا زالت حتى يومنا هذا معتمدة في طقس الكنيسة السريانية.

دوره في المجمع السرياني سنة ١٨٨٨ :-

وكلل اعماله الدينية في هذه الحقبة بالاشراف والتهيئة للمجمع السرياني، وقد بدأ بالعمل والتهيئو منذ سنة ١٨٨٢ متوصلا الى حصر المسائل التي ستناقش في المجمع ب ١٥٠٠ مسألة والبنود الشرعية ب ٨٦٩ بندا ومما يذكر ان البطريرك جرجس شلحت اوكل اليه هذه المهمة واستحسن اراءه التي طرحها عليه اولا ووافقه عليها ويظهر هذا من رسالة مخطوطة وجهها يوسف داؤد الى البطريرك في هذا الخصوص مؤرخة في ٥ تشرين الثاني ١٨٨٢ ننقل منها بعض الفقرات. «تهت فرحا اذ علمت ان غبطتكم تنازلت الى استحسان الرأي الذي كنت قد عرضته في امر الطريقة الممكنة لنوال اصلاح الطقس في طائفتنا المرغوب والضروري، واذ ذاك فلم يبق علي الا ان اشمر للعمل مستعيناً برضوان غبطتكم ودعائها وبركاتها، وسأرعى في هذا العمل الشروط التي ذكرتموها لي في رسالتكم الغراء.
هذا وان تنازلكم الى قبول رأيي الضعيف في هذا الامر يرغبني في ان اذلل بين يديكم رأيا اخر اشد اهمية وضرورة من الاول وهو امر اصلاح حال الامور الشرعية والقانونية في كنيستنا . . .»

---

(١٥) هذه المكتبة كانت قائمة ومزدهرة منذ امد بعيد. الا انها تعرضت للنهب خلال احداث سنة ١٨٦٠ المؤلمة فاعاد يوسف داؤد تنظيمها وغذاها بالكتب المختلفة - انظر طرازي - السلاسل ص ٢٩٠

(١٦) جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤٨٠ ،



صورة فوتوغرافية تجمع بين رئيس وآباء المجمع السرياني الذي انعقد سنة ١٨٨٨م ويبدو البطريرك جرجس شلحت في الوسط وعلى يمينه المطران بهنام بني ثم المطران اقليميس يوسف داؤد اما الاخير من اليمين فهو المطران افرام رحماني اما عن اليسار فهم السادة المطارنة روفائيل جرخي ويعقوب متي وانطوان قندلفت .

وعند افتتاح المجمع في دير الشرفة في لبنان في **٢٢** تموز سنة ١٨٨٨ كان اللولب الرئيس له وقبلت البنود التي وضعها بعد مناقشتها بالاجماع . ويعترف السيد لود فيكو بيافي البطريرك اللاتيني الذي حضر المجمع بصفته ممثل الفاتيكان ان الفضل الاكبر في نجاح المجمع يعود الى يوسف داؤد وجهوده[١٧] .

ثم عكف بعد انتهاء المجمع الى ترجمة تقاريره ونصوصه الى اللاتينية ففرغ منها في نيسان ١٨٨٩ وارسلت الى رومة للمصادقة عليها فلاقت استحسانا وثناء من البابا لاون الثالث عشر الذي وجه رسالة خاصة الى اعضاء المجمع مؤرخة في ١٠ ايلول سنة **١٨٨٩** يثني على اعمال المجمع ويتمنى ان تقتدي سائر الكنائس بهذا العمل الرائع والبناء .

نلاحظ مما سبق ان اهتمام الرجل في الحقبة الاسقفية انصب على المسائل الدينية والطقسية اكثر من غيرها وذلك بحكم مركزه الجديد ، ولقد قضى في الاسقفية احدى عشرة سنة كانت مليئة بالعمل الجاد والمتعب في الميادين الدينية وسياسة الابرشية الدمشقية وحل مشاكلها وربما كانت هذه المتاعب من العوامل التي عجلت بمنيته .

وفــاته :-

بعد انتهاء اعمال المجمع السرياني واعتكافه في دير الشرفة لترجمة نصوصه الى اللاتينية بدأ يشعر بمتاعب جسمية وظهر عليه اثار الهزال ، وقد شعر بهذا تلميذه الوفي وابن وطنه المطران افرام رحماني (البطريرك فيما بعد) فذهب به الى بيروت للمعالجة ، وسهر عليه سهر الابن على ابيه ولكن العلة كانت قد استفحلت ولم يفد معها العلاج ، ولقد احس بأن منيته قد حانت فقرر الرجوع الى دمشق وهناك وبعد فترة قصيرة وبالتحديد ليلة الاثنين المصادف ٤ اب سنة ١٨٩٠ فاضت روحه .

ويصف طرازي باسهاب ما جرى من مراسيم التشييع التي اشتركت فيها مختلف الطوائف في دمشق وبيروت والهيئات الرسمية والشعبية وقناصل الدول الاجنبية وبقي جثمانه مسجّى في الكنيسة ثم دفن في قبر من المرمر تحت المذبح وهو جالس على كرسيه بكامل ملابسه الدينية كعادة السريان في دفن احبارهم .

اما في الموصل فقد كان لنعيه رنة حزن واسىٔ عميقين واقيمت الصلوات والمراسيم لثلاثة ايام وانبرى اثنان من الخطباء لرثائه وهما المطران افرام رحماني والمطران يعقوب ميخائيل نعمو وكانا قد تتلمذا على يده .

---

(١٧) طرازي – القلادة ص ٢٠٠

القلادة النفيسة

في

فقيد العلم والكنيسة

المثلَّث الرحمة السيّـد إقليميس يوسف داود

رئيس اساقفة دمشق على السريان. تغمّدهُ الله بالرحمة والرضوان.

وهو مجموع ما وَرَدَ في تأبين الحبر المشار اليهِ من أفاضل الشرق والغرب في عشرين لغةً. ويتقدَّمها فذلكة في عشرة فصول تحتوي على ترجمـة حال الفقيد وجدول تآليفهِ

من قلم جامع الكتاب

فيليب نصر الله طرّازي

تَوارى عن نَواظرنا ولكن جميل ثنائهِ في القلب خالدْ
إذا عن فضلهِ نقَّبتَ يوماً فهذا السِفرُ يُعطيكَ الشواهِدْ

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة (١-١٠)
المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين في بيروت
١٨٩١

كتاب القلادة النفيسة لجامعه الكونت فيليب طرازي وربما كان اول كتاب في العالم العربي يطبع في عشرين لغة هي اللغات التي وردت فيها المرثيات

الدائم والمجد الذي لا ينتهي * لكن تذكَّر ايّها السيّد المكرّم تذكّر رعيّتك هذه المسكينة التي غادرتها وخلّفت فيها الاحزان من بعدك. وباركها وادعُ لها بالنجاح في كل شؤونها وغضّ الطرْف عمّا لاقيتهُ منها من العناء والتعب حتى اذا ما تيسّر لها جميع ذلك تحظى معك يوماً في التمتّع بالسعادة الحقيقيّة والافراح الدائمة السرمديّة *

وآخيراً أرى من الواجب عليَّ ان اتّحد مع اخوتي الكهنة الموقَّرين لأطلق لسان الشكر والثناء على هذا الجمهور الحافل الذي ساهمنا في الاحزان وقاسمنا الاتراح والاشجان . ولا سيما ترجمان ملجإ ولاية سوريّة المعظم مع قناصل الدول الفخيمة وسائر رجال الحكومة السنيَّة. واتوسَّل الى المولى الكريم ان يُظلّلهم قاطبةً بستر وقايتهِ الجليلة ويُزيل عنهم كل مكروهٍ ينغص طيب عيشهم . بحولهِ تعالى ومنّهِ آمين *

﴿ المنظومات ﴾

قال الشاعر الشهير واللغوي الجهبذ الخطير السيّد شهاب الدين افندي الموصلي

مِن قوم عيسى جانبٌ تهدَّما	والدهرُ قد نكّس منهم عَلَما
خَطبٌ جسيمٌ ومصابٌ عَظُما	بموت من أبكى عليهِ الأُمما
قد فقدوا منهُ حكيماً حَكَما	وكان ذا علمٍ بطبِّ الحُكما
الى دمشق الشام يُمناً يمَّما	وكان مطراناً بها قد رُسِما
أقامَ فيها مدَّةً مُكرَّما	مُدرِّساً مُهذِّباً مُعلِّما
بيمنِ إقدامٍ اليها قَدُما	فكانت الشامُ عليهِ أشأَما
عزيزُ مِصْرِ المَوصلِ اليومَ بما	قد ماتَ عنها وجهها تجهَّما
واأسفا يوسفُ ساوى الرِمما	لم نرَهُ من بعد الّا حُلُما

صفحة مصورة من كتاب «القلادة النفيسة» في الأعلى جزء من الخطبة التي ألقاها احد الكهنة الدمشقيين في تأبينه . وفي أسفل الصفحة قصيدة للشاعر الموصلي شهاب الدين العلوي المليسي في رثائه

وقد تلقت مدينة الموصل نبأ وفاته بوجوم تام وأسف شديد لما له من افضال كثيرة ولما كان يتمتع به من مزايا عديدة .

وقام الكونت فيليب طرازي بجمع ما قيل في رثائه وما ورد من رسائل وبرقيات من افاضل الشرق والغرب وهي كثيرة وفي لغات عديدة بلغت عشرين لغة فطبعها كلها وفي نفس لغاتها وذلك في كتاب سماه «القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة» ويقع الكتاب في ٢٠٣ صفحات وطبعه في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٩١ ولهذا الكتاب اهمية كبرى في معرفة الرجل وجهوده وكذلك في معرفة منزلته العلمية والادبية والدينية خصوصا ان ما قيل فيه لم يكن بدافع شخصي او عائلي وانما كان بدوافع علمية بحتة نظرا لما كان يتمتع به من صفات ومزايا اتينا على اكثرها خلال دراستنا له .

وقام كذلك اديب اخر موصلي اسمه جرجي خياط سكن حلب وكان من البارزين في حقل الادب والقانون والصحافة بجمع المراثي التي قيلت من ادباء مصر وبلاد الشام في كتيبين صغيرين اولهما سماه «رنة العود في مراثي ابن داؤد» يقع في ٤٦ صفحة طبعه في مصر سنة ١٨٩١ ثم اعقبه بالثاني الذي سماه «قضاء فريضة الرثاء» في ٢٣ صفحة وطبعه في مصر سنة ١٨٩٢ [١٨] .

وفي سنة ١٩٠٨ تمّ نصب تمثال تصني من المرمر الايطالي في الدار الاسقفية في دمشق نحت في رومة على نفقة الخوري يوسف هبرا الدمشقي تخليدا لذكراه ولانه سعى في تثقيفه .

كما خلد يوسف داؤد مع النوابغ ورواد النهضة الادبية وعلقت له صورة زيتية في دار الكتب اللبنانية [١٩] .

بعض من المراثي التي قيلت فيه :

قال الشاعر العراقي شهاب الدين الموصلي المتوفي سنة ١٩٠٧ من قصيدة طويلة :

من قوم عـيسى جـانب تهدمـا ... والـدهـر قـد نـكس منهم عـلما
خـطب جسيم ومصـاب عـظما ... بموت من ابـكى عـلـيـه الامما
قـد فـقـدوا منهم حـكيما حكمـا ... وكـان ذا عـلم بـطب الحكما

وقال زميله القس الدكتور لويس صابونجي صاحب مجلة النحلة واحد اعضاء اكاديمية الفنون في رومة واستاذ اللغة العربية في الكلية الملكية في لندن من قصيدة طويلة :—

---

(١٨) الاول منهما طلعت عليه . والثاني ذكره سركيس في معجمه : المطبوعات العربية والمعربة ج ١ . ٢ ص ٨٥٥ .

(١٩) طرازي — خزائن الكتب العربية في الخافقين مج ٤ ص ١١٢٧

على كوكب الشرق العلوم تنهدُّ | ويبكى على حبر الكنيسة معبد
وترثي دمشق الشام فقد عزيزها | مع الموصل الحدباء اذ قام مشهد

. . . .

بكته طروس واليراع ونثره | وناح عليه الشعر اذ قام ينشد
بكته علوم الاولين بأسرها | بدمع غزير سيله لا يجمد
بكته دما خمسٌ وعشرة لهجة | بها كان در الحق فينا ينضّد

هذا وقد ورد في كتاب القلادة اربع عشرة قصيدة اخرى في رثائه من شعراء العراق ولبنان وغيرها من الاقطار.

ومن المراثي النثرية ما قاله العالم عبدالله افندي الشلشي الموصلي :

«فوأسفاه اننا دهينا برجل الكمال والفضل ، وجامع مكارم الاخلاق والنبل صاحب التآليف الوافية والتصانيف الشافية ، نصير المعارف والانسانية ، واحد احاد الامة النصرانية العلامة المأسوف عليه «المطران يوسف داؤد»لا زالت العطاش الى مناهل كتبه دائمة الورود . . .»

ومما قال المطران افرام رحماني في خطابه الطويل الذي القاه في الموصل غداة نعيه «مامن حب اعظم من ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه (يوحنا ١٥ : ١٣) والسيد اقليميس يوسف داؤد مطران دمشق تغمده الله بعزيز رحمته قد بذل نفسه في مدة حياته قداءً للعلم وللطاعة وللغيرة على بيت الله» .

وقال محمود افندي من علماء الموصل من بين ما قال :

«ماتت العلوم بفقده واندرست الآداب من بعده ، فشقت عليه من المعارف جيوبها واجتمعت العلماء على رثائه بعيدها وقريبها ، وقد حق لي انا التأسي بهم وإن لم اكن من حزبهم فالغيرة الوطنية دعتني لذاك . . . فصحت الويل واتيت بما قيل في شهاب العراق[٢٠] .

ثم يختم مرثيته بقصيدة طويلة

اما المراثي التي قيلت بالسريانية نثرا وشعرا فقد بلغت عشر مرثيات منها مرثية القس ميخائيل دلال والشاعر بولص نخاش الحلبي والقس اغناطيوس نوري .

وفي اللاتينية وردت خمس مرثيات من ضمنها مرثية القاصد الرسولي في سوريا،والاستاذ دي فلبي استاذ الفصاحة في مدرسة برويغندا،واحد تلامذته الموصليين بطرس عزيز (المطران فيما بعد) .

---

(٢٠) يقصد به العلامة ابا الثناء الالوسي المتوفي سنة ١٨٥٤

وفي الفرنسية والانكليزية والالمانية وردت مراثي كثيرة ايضا بينما وردت في اللغة الفارسية قصيدة واحدة لاحد علماء بغداد الحاج محمد محسن القندهاري ، وكذلك في بقية اللغات الحية والتي كما ذكرنا بلغت عشرين لغة ، وقد بلغ عدد المرثيات التي اوردها طرازي في كتاب القلادة النفيسة ثمان وسبعون مرثية وقد ختمها بمرثية من نظمه جاء فيها :

حبر اذا انفقت عمري كله	رثائه بات اللسان مقصرا
فلتبكه العلماء اصحاب الحجى	اذ كان بينهم شهابا نيّرا
فلتبكه الحدباء مسقط رأسه	فبحوثه فقدت عماداً اكبرا
ولتبكه الفيحاء اذ فيها قضى	انفاس عمر بالفضائل ازهر

صفاته واخلاقه :

من خلال المراثي التي قيلت فيه . وما سمعناه عن السلف ممن عاصروه او سمعوا عنه ومن طرازي الذي عاصره وكتب عنه كثيرا نستطيع ان نتوصل الى انه كان يتمتع بشخصية بسيطة ومحبوبة ، وكان وديعا محبا للسلام . ذا مؤانسة ولطف يقابل الناس كبيرهم وصغيرهم ببشاشة فائقة ، متواضعا زاهدا في الحياة ومظاهرها . شبه من ناحية تقواه وفضيلته بأحد آباء البرية النساك ، اما من جهة علمه وغيرته فشبه بأحد معلمي الكنيسة القدماء وملافنتها .

وكان كما يبدو من صوره وكما وصفه طرازي :
طويل القامة ، ممتلئ الجسم ، جليل المنظر ، بهي اللون ، متناسب الاعضاء ، قوي البدن والتركيب حيث استطاع ان يتغلب على مشاق البحث والتأليف والسهر المتواصل
وقد امتاز بثلاث صفات بارزة : العلم والتواضع والغيرة فكان عالما باحثا ودؤوبا على العمل في شخصية متواضعة وغيرة متناهية في كل ما اوكل اليه من مسؤوليات واعمال .

ومن يقرأ وصيته الاخيرة التي ذكر نصها الكامل في كتاب القلادة النفيسة يستطع ان يخرج بفكرة واضحة عن مدى ما امتاز به من صفات حميدة وتواضع جم وايمان عميق ، وقد جاء فيها «اطلب الى الله متذللاً ان يرحمني ويغفر خطاياي وزلاتي التي صدرت مني في حياتي كلها وهي كثيرة جداً جداً وينعم علي بأن اموت ميتة صالحة . . . ثم اني من صميم قلبي اغفر لكل من أساء اليّ واذنب في حق كيفما كان ولأي سبب كان عمدا او بغير عمد . . . واطلب المسامحة والغفران من كل الذين يرون اني تعديت على حقهم بأي وجه كان . . .»

منزلته العلمية والادبية :

استطاع يوسف داؤد خلال حياته ان يخلف تركة علمية وادبية ولغوية كبرى ، قدر هذه التركة علماء الغرب فضلا عن علماء الشرق .

قال عنه جرجي زيدان – وهو من معاصريه وكانت بينهما مراسلات ادبية – انه «من كبار العلماء في اللغات والادب والتاريخ ، يعمل في خدمة العلم بحثا وتأليفا فضلا عن خدمة طائفته حتى زادت مؤلفاته على خمسين مؤلفا في لغات مختلفة وموضوعات مختلفة»(٢١)

وقال عنه الاب لويس شيخو اليسوعي : «ومن يطالع قائمة تاليفه لا يتمالك عن العجب لعلو همه ذلك السيد المفضال وسعة معارفه في كل فنون الادب واصناف العلوم الدينية والمدنية الشائعة بين العجم والعرب(٢٢)

اما البطريرك جرجس عبد يشوع الخياط وكان من زملائه واقرانه فقد قال عنه : «اقول ولا اخاف المبالغة ان السيد يوسف داؤد كان سند العلوم الشرقية واللغات السامية والفنون الطقسية كافة وقد عرف علماء اوربا ذلك واقروا به في الايام الاخيرة»(٢٣)

وقال البطريرك الكلداني ايليا عبو اليونان «أليس انه بتآليفه النفيسة التي عمت فوائدها حتى في مدارس اوربا قد ادى خدمة جليلة للعلم هيهات يمحى ذكرها من صفحات التاريخ . . .»(٢٤)

ومما قاله السيذ غودنسيو بنغيلي القاصد البابوي على سوريا في كلمة له باللاتينية ما ترجمته : «اليس بكل حق وصواب يمكن ان يقال عنه ماورد في سفر الحكمة وهو انه احب الحكمة وطلبها منذ حداثته وصار لجمالها عاشقا . . .»(٢٥)

ومماقيل في تقريظ مؤلفاته ونقدها كلمة للملا سلطان افندي بن حسن احد مشاهير العلماء في الموصل وكان من معاصريه :

«اما بعد فلما كان كتاب التمرنة ، النافع في جميع الازمنة والامكنة كتابا مصنفا في الاصول النحوية ، من اقسام العلوم العربية وهو من تأليفات المعلم الخوري يوسف داؤد شيد الله اركان اطواره بدعائم العز والسعود ، وهو معلم ماهر في جميع العلوم وما يتضمنها من منطوق ومفهوم ،

---

(٢١) جرجي زيدان – تاريخ اداب اللغة العربية ج٤ بيروت ١٩٦٧ (اوفسيت) ص ٦٠٢

(٢٢) مجلة المشرق مج١ عدد ١٨ سنة ١٨٩٨ ص ٨٥٨

(٢٣) طرازي – القلادة ص ٣٤

(٢٤) طرازي – القلادة ص ٥١

(٢٥) القلادة – ص ١٤٦

له اليد الطولى في تأليف المؤلفات الكثيرة وتصانيف المصنفات الغزيرة والحاوية للتحقيقات الدقيقة والابحاث الرائقة العميقة» .

وقال عنه عبد الله افندي الشلشلي من علماء الموصل ايضا وهذا الكتاب مؤلف من معدن المعارف والعلوم وبحر المنثور والمنظوم المعلم الخوري يوسف داؤد لا زالت العطاش الى التعليم لديه دائمة الورود ، فصار به مرفوعا رفع ابتداء ، ومنصوبا نصب تمييز على الجهلة الاعداء ، فخفض من افرد ضميره بالاضافة اليه»

وكدليل اخر على منزلته العلمية دعوة المجمع الدولي العلمي الشرقي[٢٦] في لندن له لحضور جلساته وقد وجه اليه وليم سيترار سكرتير المجمع رسالة رسمية يدعوه لحضور المؤتمر ويخبره بانتخابه عضوا عاملا في المجمع الذي سيعقد سنة ١٨٩١ الا ان المنية عاجلته قبل انعقاده .

آثاره ومؤلفاته :-

نظرا لكثرة ما ألّف يوسف داؤد من مؤلفات وماترجم عن لغات اجنبية وما حقق من كتب التراث ونظرا لتنوع هذه المؤلفات في حقول المعرفة والثقافة والمسائل اللغوية والدينية والطقسية ارى مـــن الضروري فهرستها بطريقة المواضيع وخصوصا لاني سأتناول هذه المؤلفات في الباب الثاني بالدراسة والتحليل تسهيلا للمتتبع وتحقيقا للفائدة .

أ - في اللغة والنحو والصرف

١ - خلاصة في اصول النحو تسهّل مأخذها على المبتدئين موصل - مط الدومنيكان طبع حجر ١٨٥٩

تتواجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة المتحف العراقي ويعتبر اول كتاب يطبع في العراق في النحو والصرف .

٢ - التمرنة في الاصول النحوية

موصل مط الدومنيكان ط ١ ١٨٦٩ مجلدان في ٢٠٩ صفحات

ط ٢ ١٨٧٥ جزأن في مجلد واحد ٣٨٩ صفحة

وقد الحق بالطبعة الثانية نبذتان في علم العروض والشعر عدد صفحاتها ٣٢ صفحة وهناك طبعات اخرى سنة ١٨٨٤ ، سنة ١٨٩٩

٣ - التمرين على كتاب التمرنة

---

(٢٦) القلادة ص ٣٤

ما يسمى اليوم بالجمعية الأسيوية الملكية Royal Asiatic Society ومركزها في لندن .

موصل – مط الدومنيكان ط ١ ١٨٧٧ في ٢٤٤ ص
ط ٢ ١٨٨٤ في ٢٤٤ ص

٤ – تدريب الطلاب في اصول التصريف والاعراب
موصل – مط الدومنيكان ط ١ ١٨٧٧
ط ٢ ١٨٩٥ في ٢٤٠ صفحة

٥ – التصاريف العربية وتعرف بكراريس الاشتقاق
موصل – مط الدومنيكان ط ١ ١٨٨٢
ط ٢ ١٨٨٨ في ٩٤ صفحة

٦ – نحو اللغة الفرنسية (غراما طيق اللغة الفرنسية)
باللغتين العربية والفرنسية
موصل – مط الدومنيكان سنة ١٨٦٥
يقع في ٢٦٢ صفحة مع مقدمة بالعربية والفرنسية وقد وضعه لتعليم العرب اللغة الفرنسية على اسس حديثة

٧ – مبادئ التهجئة لتدريس الصبيان
هذا الكتاب طبع عدة طبعات منذ سنة ١٨٦٢
وكانت اخر طبعة هى الطبعة العاشرة سنة ١٨٩١

٨ – مبادئ القراءة السريانية (بالسريانية)
ط١ موصل مط الدومنيكان ١٨٧٤
ط٢ موصل مط الدومنيكان ١٨٧٩ في ١١٧ ص
ط٣ موصل مط الدومنيكان ١٨٩١ في ١١٥ ص

٩ – تصاريف الافعال (بالكلدانية)
موصل – مط الدومنيكان

١٠ – اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية (بالعربية والسريانية) موصل – مط الدومنيكان
ط١ ١٨٧٩ في ٨٥٤ ص ط٢ في جزئين الاول في ٦٩٤ ص سنة ١٨٩٦
والثاني في ٤١٤ ص سنة ١٨٩٨

مع مقدمة مطولة في ٢٨ ص ، ثم اضيفت للجزء الثاني خاتمة في علم العروض والشعر لدى السريان في ٣٢ ص كان المؤلف قد بعث بها الى المطبعة وهيأها قبل وفاته .

١١ – Grammatica Aramaieca sen Syriaca قواعد اللغة الارامية (بالاتينية)

وهذا الكتاب يقع ٧٢٩ صفحة مطبوع في مطبعة الدومنيكان في الموصل سنة ١٨٩٦ وهو ترجمة لاتينية لكتاب اللمعة الشهية السابق ذكره قام بترجمته لويس رحماني (البطريرك افرام رحماني فيما بعد) الى اللاتينية مع تذييل واضافات كتبها المترجم.

١٢ - لغة اهل دمشق العربية في ايامنا

بالفرنسية La langue moderne de la syrie

١٣ - اللغة التي تكلم بها يسوع المسيح على الارض

بالفرنسية Langue de notre – seigneur

١٤ - بحث عن لغة اهل سوريا وفلسطين لدى ظهور العربية بالفرنسية مع بيان انها كانت سريانية.

La langue de la syrie et de la palestine al'appaeition des arabes

وهده البحوث الثلاثة التي نشرها بالفرنسية في مجلات استشراقية عاد فترجمها الى العربية بالنظر لاهميتها وضمنها بين دفتي كتاب واحد سماه:

١٥ - القصارى في حل ثلاث مسائل تاريخية حوى على ثلاث مقالات في نفس المواضيع السابقة بيروت - المطبعة الادبية ١٨٨٧ ويقع في ٩٣ صفحة

ب - في التاريخ

١ - مختصر تواريخ الكنيسة - مؤلفه لومون الفرنسي ترجمه واضاف اليه الكثير وذيله بفوائد مهمة موصل - مط الدومنيكان ١٨٧٣

يقع الكتاب في سبعة ابواب ولكل باب عدد من الفصول المناسبة في ٧٢٠ ص

٢ - مختصر المختصر في تأريخ الكنيسة موصل - مط الدومنيكان ١٨٧٧ في ٤٠٠ صفحة

٣ - التواريخ البيعية

موصل - مط الدومنيكان

٤ - مختصر تأريخ السريان بالفرنسية

موصل - مط الدومنيكان

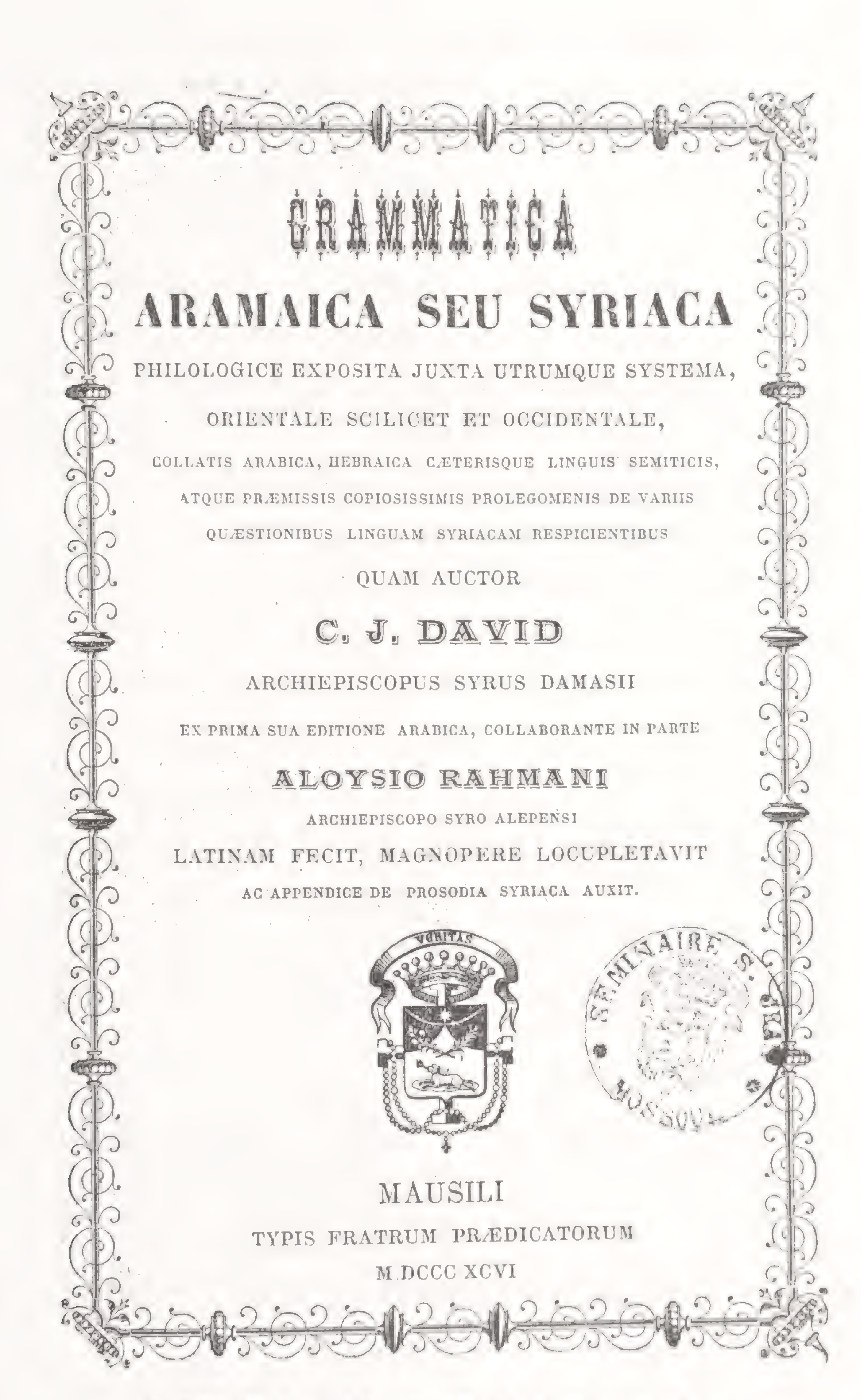
سنة الطبع ١٨٨٩

٥ - مواد مجمع الشرفة السابع المعقود سنة ١٨٨٨ بالفرنسية سنة الطبع ١٨٨٩

٦ - مواد مجمع الشرفة السابع المعقود سنة ١٨٨٨ بالعربية واللاتينية

رومة - سنة الطبع ١٨٩١

وقد نشر هذا الكتاب ثانية البطريرك افرام رحماني (دير الشرفة - لبنان ١٩٢٢م)



GRAMMATICA
ARAMAICA SEU SYRIACA

PHILOLOGICE EXPOSITA JUXTA UTRUMQUE SYSTEMA,

ORIENTALE SCILICET ET OCCIDENTALE,

COLLATIS ARABICA, HEBRAICA CÆTERISQUE LINGUIS SEMITICIS,

ATQUE PRÆMISSIS COPIOSISSIMIS PROLEGOMENIS DE VARIIS

QUÆSTIONIBUS LINGUAM SYRIACAM RESPICIENTIBUS

QUAM AUCTOR

C. J. DAVID

ARCHIEPISCOPUS SYRUS DAMASII

EX PRIMA SUA EDITIONE ARABICA, COLLABORANTE IN PARTE

ALOYSIO RAHMANI

ARCHIEPISCOPO SYRO ALEPENSI

LATINAM FECIT, MAGNOPERE LOCUPLETAVIT

AC APPENDICE DE PROSODIA SYRIACA AUXIT.

VERITAS

MAUSILI

TYPIS FRATRUM PRÆDICATORUM

M DCCC XCVI

مصور من كتاب اللحقة الشهية الذي نقله افرام رحماني الى اللاتينية

٧ – جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموازنة مطبعة سركيس – القاهرة سنة ١٩٠٨ في ٥٤٤ صفحة

وكان قد الفه سنة ١٨٧٣ وبقي مخطوطا حتى سنة طبعه والنسخة الخطية لازالت محفوظة في دير الشرفة في لبنان تحت رقم ٥/٢٩ والكتاب في مجمله رد على كتاب روح الردود ليوسف الدبس (المطران فيما بعد) الذي طبع في بيروت سنة ١٨٧٢

٨ – نبذة في مختصر تأريخ الطائفة السريانية الكاثوليكية وعلمائها وطقسها مقسمة الى قسمين : الاول في التاريخ والثاني في الطقوس مخطوطة – تتواجد نسخة منها في مكتبة دير الشرفة تحت رقم ١٦/١٦ .

جـ – الكتب الادبية

١ – تنزيه الالباب في حدائق الاداب

جمع وتحقيق وشرح . . ١٦٨ صفحة

وفي الكتاب نبذة من اقوال الفضلاء جمعها ياقوت المستعصمي

ه مط الدومنيكان سنة ١٨٦٣ موصل

٢ – جني الأثمار من لطائف الاخبار

مجموع من احسن كتب العرب ١٧٦ ص

موصل مط الدومنيكان ط١ ١٨٦٣

طبع بعدها ثلاث طبعات اخرى

ط٢ ١٨٧٦ ط٤ ١٨٩٠

٣ – فاكهة الخلفاء مفاكهة الندماء – لابن عرب شاه المتوفي سنة ١٤٥٠م تحقيق

موصل مط الدومنيكان ط١ ١٨٦٩

ط٢ ١٨٧٦

٤ – المناهل الفرنساوية للوّراد العربية (بالعربية والفرنسية) في ٢٥١ ص

موصل مط الدومنيكان ١٨٦٥

ولهذا الكتاب اهمية خاصة في ميدان الفنون الادبية سنتناوله بالبحث والتحليل .

٥ – ملخص كتاب بديع الانشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات للشيخ مرعي الحنبلي المقدس المتوفي سنة ١٦٢٤م نشر وتحقيق

يقع الكتاب في ١٤٦ ص موصل – مطبعة الدومنيكان ١٨٦٦

٦ – كليلة ودمنة

II

FIG. ORIENT.	FIG. OCCID.	FIG. ORIENT.	FIG. OCCID.	FIG. ORIENT.	FIG. OCCID.
ܒܐ	ܒܐ	ܒܛ	ܒܛ	ܒܦ	ܒܦ
ܒܒ	ܒܒ	ܒܝ	ܒܝ	ܒܨ	ܒܨ
ܒܓ	ܒܓ	ܒܟ	ܒܟ	ܒܩ	ܒܩ
ܒܕ	ܒܕ	ܒܠ	ܒܠ	ܒܪ	ܒܪ
ܒܗ	ܒܗ	ܒܡ	ܒܡ	ܒܫ	ܒܫ
ܒܘ	ܒܘ	ܒܢ	ܒܢ	ܒܬ	ܒܬ
ܒܙ	ܒܙ	ܒܣ	ܒܣ		
ܒܚ	ܒܚ	ܒܥ	ܒܥ		

ARTICULUS II

DE LINGUÆ SYRIACÆ PRONUNCIATIONE

PRÆMISSA

3- Ut melius ea quæ de litterarum Syriacarum pronunciatione dicturi sumus intelligantur, juvat nonnulla de vocalibus Syriacis breviter præmittere.

Igitur omnis littera, i. e. consonans, (et sic semper intelligendum quotiescumque littera simpliciter dicitur), in lingua Syriaca, sicut in ceteris linguis Semiticis est aut mobilis, aut quiescens. Mobilis est littera ea quam juxta notiones grammaticales Europæorum vocalis sequitur in eadem syllaba, seu quæ juxta notiones grammatices Semiticæ aliqua vocali in pronunciatione movetur, orthographice autem cui in scriptura aliquod signum vocalis apponitur. Vocales autem præcipuæ apud Syros Occidentales quinque sunt, A, E, I, O, U, quarum signa ex sequentibus exemplis intelliges. Igitur litteræ ܒ, ܡ, ܕ, ܢ, ܣ, mobiles sunt in his exemplis: ܒܰ *ba*, ܡܶܐ *me*, ܕܺܝ *di*, ܢܳܐ *no*, ܣܽܘ *su*. Syrorum autem Orientalium vocales

صفحة مصورة من كتاب
اللحقة الشهية باللاتينية

نشر وتحقيق
موصل – مط الدومنيكان ط١ ١٨٦٩
ط٢ ١٨٧٦ في ٤٣٠ صفحة
وقد طبع فيما بعد عدة طبعات كان اخرها سنة ١٨٩٧

٧ – امثال لقمان الادبية وطُرَف من لطائف العرب الانسية جمع وتحقيق ١٦٠ ص
موصل – مطبعة الدومنيكان ١٨٧١م

٨ – الرموز ومفتاح الكنوز تحقيق (والكتاب مخطوطة نقحها وحققها وقسمها الى بابين في الدين والاداب) ١٤٢ ص
موصل – مطبعة الدومنيكان ١٨٧٠

٩ – انشاء الرسائل
موصل – مطبعة الدومنيكان ١٨٨٦م

١٠ – الكنز اللغوي » (Thesaurus polyglottus) كتاب جامع لاحسن ما جاء في العربية والسريانية والتركية وغيرها من اللغات نثرا ونظما
تأليف وجمع وترجمة يقع في ٩٥٨ ص هذا الكتاب لا زال مخطوطا ومحفوظا في مكتبة بروبغندا في رومة مع بقية مؤلفاته المخطوطة التي اوصى بها لتلك المكتبة

١١ – نبذتان في علم العروض والشعر
الحقها بكتاب التمرنة في طبعته الثانية سنة ١٨٧٥

د – الكتب الدينية والطقسية

١ – الكتاب المقدس (بالعربية) ترجمة وتعريب ومقارنة على افضل النصوص المقبولة
موصل – مطبعة الدومنيكان بين ١٨٧١ – ١٨٧٧ في ٢٥٠٧ صفحات
ط ٢ في ستة مجلدات بين ١٨٧٤ – ١٨٧٧ في ٣٨٠٦ صفحات

٢ – الكتاب المقدس (بالسريانية) موصل – مطبعة الدومنيكان في ستة مجلدات بوشر بطبعه منذ سنة ١٨٧٢ ثم توقفت طباعته واكملت فيما بعد بين سنتي ١٨٨٨ – ١٨٩٢

٣ – خلاصة التعليم المسيحي تأليف امانتون ترجمة موصل – مطبعة الدومنيكان ١٨٦٣

٤ – رياضة درب الصليب المقدس (مختصرة) ترجمة موصل – مطبعة الدومنيكان ١٨٦١

٥ – رياضة درب الصليب المقدس (مطولة) موصل – مط الدومنيكان ـ

٦ – سيرة القديسين
موصل – دومنيكان : ج١ سنة ١٨٧٣ ج٢ سنة ١٨٩٠ ويقع الجزأن في ١٦٥٠ صفحة

٧ – تأملات يومية لالفونس ليغوري ترجمة في ٢٠٩ صفحات موصل – مطبعة الدومنيكان ١٨٦٩

٨ – سيرة مار فرنسيس الاسيسي السارافي

معرب عن الايطالية

ترجمة جديدة في ٣٨٨ ص

موصل – مط الدومنيكان ١٨٦٤

٩ – تقديس السنة المسيحية بقراءة سير القديسين اليومية

ترجمة

موصل – مط الدومنيكان ط١ في جزئين ١٨٧٤

موصل – مط الدومنيكان ط٢ في جزئين ١٨٩١

١٠ – المواعظ السديدة الادبية في تثقيف المسيحي تأليف بولس سنيري المتوفي سنة ١٦٩٤ مجلدان ترجم الاول منها يوسف داؤد في ٤٧٥ ص وطبع في الموصل سنة ١٨٩٣ اما المجلد الثاني فقد ترجمه رحماني في ٤٥٦ ص وطبع في نفس السنة.

١١ – الخطب الباهرة والمواعظ الزاجرة تأليف الاب بولس سنيري اليسوعي ترجمه في جزئين

ط١ موصل الدومنيكان ١٨٧٠

ط٢ موصل دومنيكان ١٨٨١

١٢ – الحرب الروحية لالفونس ليفوري

ترجمة

موصل – دومنيكان ١٨٦٨

١٣ – تحفة الزهور الذكية للنفوس العابدة المسيحية اصلح متنه وزاد عليه وطبعه.

موصل – دومنيكان ط١ في ٥١٧ ص ١٨٦١

موصل – دومنيكان ط٢ في ٥٧٦ ص ١٨٩٩

١٤ – الفناقيث (او الفنقيط) بالسريانية وهي الصلوات القانونية لدى السريان

اصلحها ورتبها ونقحها

سبعة مجلدات مجموع صفحاتها ٣٩٣٤ طبعت متسلسلة في مطبعة الدومنيكان من سنة ١٨٨٢ وحتى سنة ١٨٩٦

١٥ – الحوسايات (الغفرانات او الاستغفارات) ضبطها وصححها وترجمها الى العربية باسلوب بليغ ومسجع موصل – دومنيكان ١٨٧٩ في ٦٤٨ صفحة

١٦ – المزامير (بالسريانية)

راجيها على الاصل العبراني وافتتحها بنبذة في استعمال المزامير بالطقس السرياني .
موصل - دومنيكان ١٨٨٥

١٧ - فهرست القراءات من العهدين القديم والجديد التي تقال على مدار السنة بحسب الطقس السرياني (استخراج وترتيب)
موصل - دومنيكان ١٨٧٧

١٨ - كلندار (تقويم) حسب طقس الكنيسة السريانية الانطاكية موصل - دومنيكان ١٨٧٧

١٩ - كلندار عام لجميع الطقوس غربية وشرقية
موصل - دومنيكان

٢٠ - نبذة في القوانين منقولة عن المجاميع المقدسة لفائدة الاكليروس السرياني في الموصل
موصل - دومنيكان ١٨٧٢ / ٣٢ ص ذكرها المستشرق جراف في كتابه ج ٤ ص ٧٧

٢١ - فرض السيدة الصغير (ترجمة عن الاصل اللاتيني) في ١٦٥ صفحة
موصل - دومنيكان ١٨٦٤

٢٢ - زيارة القربان المقدس وزيارة مريم العذراء لالفونس ليفوري
ترجمة
موصل - دومنيكان ط١ ١٨٦٩
موصل - دومنيكان ط٢ ١٨٧٦

٢٣ - المتعبد لمريم للاب بولس سنيري اليسوعي ترجمة بطرس فروماج - نقح الترجمة واصلحها
موصل - دومنيكان ط١ في ٣٠٢ ص ١٨٧٠
موصل - دومنيكان ط٢ في ٣١٠ ص ١٨٩٦
اما الترجمة الاصلية فقد ترجمت سنة ١٧٦٤ وهناك نسخة خطية منها في مكتبة دير الشرفة تحت رقم ١٢/٩

٢٤ - الشهر المريمي للاب مترزلي اليسوعي ترجمة وتعريب
موصل - دومنيكان ١٨٧٦

٢٥ - الكينارة الصهيونية لتسبيح العزة الالهية جمع وتنقيح
موصل - دومنيكان ط١ في ٤٢٥ ص ١٨٦٤
موصل - دومنيكان ط٢ ١٨٩١
موصل - دومنيكان ط٣ ١٩١٠

٢٦ – زوادة النفس الثقية في طريق الحياة المسيحية تعريب
موصل – دومنيكان ط١ سنة ١٨٦١
ثم طبع عدة طبعات كان اخرها الطبعة الرابعة سنة ١٨٨٧

٢٧ – ترويض في آلام المسيح لكل يوم جمعة في الصوم الكبير
موصل – دومنيكان ١٨٦٣

٢٨ – خدمة القداس (بالعربية والسريانية)
موصل – دومنيكان ط١ ١٨٦٨

٢٩ – رسالة المقدمة والنتيجة في حقيقة عقد الخطبة وعقد الزيجة وشروطها
موصل – دومنيكان ١٨٧٤

٣٠ – رسالة في كيفية التصرف في الدعوى الزيجية (رسالة قانونية)
موصل – دومنيكان ١٨٨٣

٣١ – مقالة في تعليم البيعة السريانية في انبثاق الروح القدس بالسريانية
موصل – دومنيكان

٣٢ – النافورة الكلدانية (بالكلدانية).
اصلحها بمؤازرة احبار الكلدان
موصل – دومنيكان

٣٣ – مقالات شتى : طقسية وتذهيبية باللغتين اللاتينية والأيطالية) رومة ١٨٧٠

٣٤ – تقليد البيعة السريانية والكلدانية في رئاسة الرسول بطرس وخلفائه (باللاتينية) رومة ١٨٧٠

وعنوان الكتاب باللاتينية :

Antiqua Ecclesiae Syro – Chaldaicae Traditio Circa Petri Apostoli eiusque sucassorum Ponticum divinum primatum.(Rome 1870).

٣٥ – Comparision entre L'anaphore de S.Jacques... مقارنة بين نافورة القديس يعقوب المستعملة عند السريان ونافورة القديس يوحنا فم الذهب المستعملة عند اليونان باللغة الفرنسية .

٣٦ – طقس البيعة السريانية الانطاكية ونافورتها بالفرنسية ١٨٨٨

٣٧ – الاشحيم (بالسريانية) الفرض اليومي للصلوات (اصلحه ونقحه) ثم نشره البطريرك افرام رحماني بيروت ١٩٠٢

٣٨ – التوطئة الى الاحتجاج والتبرئة (مخطوطة بالعربية) رسالة فيها فوائد تأريخية وطقسية

ودينية وهي رسالة دافع فيها عن نفسه عند ما وجه اليه البطريرك اغنا طيوس جرجس الخامس انتقادا حول ملاحظات كان قد أبداها في الطقوس ، وقد رفعها في ٦ اذار سنة ١٨٧٦ دافع فيها عن آرائه الرسالة لا زالت مخطوطة في خزانة دير الشرفة

٣٩ – Lectionarium Syriacum Roma 1879 باللاتينية

٤٠ – Rapporto sul Breviario del rito Siro Roma 1878

(تقرير بخصوص كتاب الفرض في الظقس السرياني) بالايطالية

٤١ – مقالات شتى في حقيقة سر الاوخارسيتا (مخطوطة) بالعربية والفرنسية .

٤٢ – قداس حبري سرياني على اصول الموسيقى الاوربية (مخطوط)

هـ – مؤلفات مختلفة في شتى الحقول :

١ – ترويض الطلاب في اصول علم الحساب

موصل – دوحنيكان ١٨٦٥

ويقع في ٣٠٠ صفحة وربما كان هذا الكتاب اول كتاب في تدريس العلوم يطبع في العراق

٢ – الطريقة الجديدة لتعلم الفرنسية

موصل – دومنيكان

ط ١ ١٨٩١ ط٢ ١٨٩٥

٣ – علم الجغرافيا

موصل – دومنيكان ١٨٦١

٤ – مدخل الطلاب وتعلة الرغاب في اصول علم الحساب

موصل – دومنيكان ط١ ١٨٦٥

ط٢ ١٨٧٠ في ١٨٠ صفحة

ط ٤ ١٩٠٠

٥ – علم الهندسة مخطوط

٦ – علم الجبر مخطوط

٧ – مجموع المناشير والرسائل الراعوية وعددها ٢٥ منشورا وقد عثرت على احد المناشير ويقع في ٢٥ صفحة مطبوع سنة ١٨٨٠ في دمشق

٨ – تصانيف موسيقية بيعية

عربية وسريانية مخطوطة

٩ - مجموعة خطب ومواعظ شائقة المعنى (بالعربية) مخطوطة

١٠ - اغلاط ترجمة العهد الجديد العربية التي انشأها البروتستانت مخطوطة

واكثر كتبه التي لا زالت مخطوطة حفظت في مكتبة دير الشرفة ومكتبة مدرسة وجامعة بروبغندا في رومة .

اما مراسلاته فمحفوظة في ارشيف خاص لدى دار المطرانية السريانية في دمشق ، والقسم الاخر جمعها فيليب طرازي في ملفات خاصة واودعها مكتبة دير الشرفة - قسم المخطوطات .

الباب الثاني
دراســة تحليــلية

تمهيـــد

من خلال تتبعنا لحياة يوسف داؤد التي قدمنا لها في الباب الاول ولآثاره ومؤلفاته الكثيرة التي بلغت خمساً وثمانين مؤلفاً مابين مطبوع ومخطوط موزعة على اربعة ميادين مهمة من ميادين المعرفة والثقافة وهي اللغة والتأريخ والدين والادب وغيرها . نستطيع القول انه كان حقاً رائداً من الروّاد الاوائل في عصر الانبعاث خلال القرن التاسع عشر ليس في العراق فحسب بل وعلى نطاق الاقطار العربية ، كما تعطينا فكرة واضحة عما وصل اليه الرجل من سعة المعرفة وأساليب التحري الدقيق ، فقد وعى في صدره كل ما وصل اليه العقل العربي والاوربي من ثقافة ، وقدّمها لمن أتى في عهده وبعده ، قريبة المتناول ، بعيدة عن التعقيد والغموض والتشويش ، تنطق بلسان ناصع الأداء وجيز العبارة ، بعيد عن التطويل الممل والتكلف المبتذل .

لقد طمع يوسف داؤد ان يكون انسكلوبيدياً ، جامعاً لكل ماعرفه العرب والاوربيون ، وقد تحقق له ذلك في كثرة الميادين التي طرقها وبحث فيها وأجاد .

وكان له في البداية من انشغاله بالتدريس ماوجهه في تأليفه توجيها مدرسياً حاله في هذا كحال الشيخ ناصيف اليازجي احد روّاد النهضة ولهذا دارت ابحاثه حول النحو واللغة والبيان والعروض وحتى علم الحساب والجغرافية والتأريخ مما كان يدور عليه التدريس لذلك العهد .

وهو مع اتقانه للغات اجنبية كثيرة إلا انه كان غيوراً ومحباً للعربية لغته الام فأعطاها الأولوية في تأليفه واهتماماته وألف كتبا كثيرة في النحو والصرف والبيان والعروض ونشر وحقق كثيرا من كتب التراث العربي وترجم الكثير من الكتب الى العربية ، كما اعطى اهمية للغة السريانية والفرنسية واللاتينية فألف فيها وألف عنها كثيراً .

ونظراً لتشعب المواضيع التي ألف فيها ارى ان اقسمها حسب الموضوعات التي استطعت حصرها في اربعة هي : اللغة والتأريخ والادب والعلوم الدينية

وسأحاول دراسة وتحليل نتاجه في كل من هذه الميادين على حدة كي نستطيع تكوين فكرة واضحة المعالم عن دوره في خدمة الفكر العربي والثقافة والمعرفة خلال القرن التاسع عشر وكذلك عن دوره في النهضة الفكرية التي شهدها العالم العربي آنذاك .

الفصل الاول

مولفاته اللغوية (النحو والصرف والدراسات اللغوية)

تمهيد : عانى العراق واقطار المشرق العربي في العهد العثماني فقد انحط الادب الى اسفل الدركات ، وقلّ الاهتمام بالدراسات اللغوية والادبية وذلك لشيوع التركية في المخاطبات والمراسيم والدواوين وتسلط الخمول على العقول ، والتقليد على المعاني والصناعة اللفظية على الاساليب البليغة . .

واستمرت الحال هكذا حتى اواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر عندما ظهَرت بوادر النهضة في بلاد الشام ومصر ، بظهور الطباعة وانتشارها التدريجي حيث تعتبر عاملا مهماً من العوامل التي ساعدت على تنشيط الدراسات اللغوية والادبية ، كما ساعدت على انتشار الصحافة .

وكان لظهور جرمانوس فرحات (١٦٧٠–١٧٣٢م) اثر كبير في تنشيط الدراسات اللغوية والنحوية بما ألفه من كتب كثيرة تربو على المئة في مختلف حقول الادب والمعرفة واللغة نخص بالذكر منها كتابه المشهور «بحث المطالب في علم العربية» الذي طبع في مالطة اولا سنة ١٨٣٦ ثم تكرر طبعه فيما بعد وظل معتمداً في المدارس فترة طويلة ، وتتواجد في خزانتي نسخة من هذا الكتاب الثمين عدد صفحاتها ٣١٧ صفحة . واعقبه ناصيف اليازجي ١٨٠٠ – ١٨٧١ [٢٦] وبطرس البستاني ١٨١٩ – ١٨٨٣ ، واحمد فارس الشدياق ١٨٠٥ – ١٨٨٧ الذين كانوا بحق روّاداً لعصر الانبعاث بما ألفوه ونشروه في مختلف حقول المعرفة والثقافة . ولحقت مصر ببلاد الشام وذلك بعد حملة نابليون ومجيء محمد علي الى الحكم فشهدت هي الاخرى بوادر نهضة ادبية ولغوية انعكست آثارها على مظاهر الحياة العامة .

أما العراق فقد ظل بعيداً بادئ الأمر عن تلك التيارات والعوامل ، وكانت الدراسة لاتزال مقتصرة على المساجد والكنائس وكان التعليم محاكاة للعصور الوسطى يعني بالدين وملحقاته فقط ويعتمد على الحفظ والتلقين .

كما لم تظهر دراسات لغوية حديثة رغم ان بوادر النهضة كانت قد ظهرت في بلاد الشام ومصر ، فاقتصرت على اجترار ودراسة ما ظهر من كتب قديمة وقد ذكر ابوالثناء الآلوسي [٢٧] في

---

(٢٦) للشيخ ناصيف اليازجي مؤلفاته مهمة في اللغة اهمها كتاب «فصل الخطاب في لغة الاعراب» يقع في ١٦٨ صفحة مطبوع في بيروت سنة ١٨٣٦م وتتواجد في خزانتي نسخة منه .

(٢٧) ابوالثناء الآلوسي ١٨٠٢ – ١٨٥٤ من ادباء العراق البارزين خلال القرن التاسع عشر .

كتابه غرائب الاغتراب[٢٨] شيئاً عن هذه الكتب المخطوطة وعن طريقة الدراسة البدائية فيها .
وهكذا كانت الحال في الموصل فقد كان الطلاب يدرسون في حلقات وامامهم بضع وريقات من مخطوط يتداولون على قراءتها مع الحفظ والتلقين والتسميع .

مؤلفات يوسف داؤد اللغوية والتعليمية :

ولما رأى يوسف داؤد عند قيامه بمهمة المعلم الاول في مدرسة الدومنيكان مايعانيه الطلبة أقدم أولا على طبع لوحات مستفيداً من كتاب Roret الذي علمهم استعمال اللوحات في التعليم ثم اعقبها بكتاب قراءة مزين ومزخرف[٢٩] وقد طبعت كلها في المطبعة الحجرية التي جلبها الدومنيكان منذ سنة ١٨٥٧ .
ولما رأى يوسف داؤد ان هذه اللوحات والكتب الصغيرة لاتفي بالغرض أقدم على تأليف كتاب جامع في النحو والصرف سماه «خلاصة في اصول النحو تسهل مأخذها للمبتدئين» وطبعه في المطبعة الحجرية ايضا سنة ١٨٥٩ ولهذا الكتاب اهمية خاصة حيث انه أول كتاب يطبع في العراق في النحو والصرف العربي لذا فلابد ان نتوقف قليلا لنرى مدى اهميته التأريخية والعلمية ، وقد عثرت على نسخة منه في مكتبة المتحف العراقي وعليه ختم الآباء الكرمليين فعملت انه من بين كتب مكتبة الكرملي التي اهديت الى مكتبة المتحف[٣٠] .
والكتاب يحتوي على ١٦٩ صفحة وفهرست ثم نبذة من كتاب كليلة ودمنة ثم اصلاح الغلط .
وقد قسم الكتاب الى خمسة كتب خصص الاول لتصريف الفصل ومايشتق منه وفيه احد عشر بابا ، والكتاب الثاني في الاسم وفيه تسعة ابواب ، أما الثالث فهو في الحرف ومايلحق به وفيه اربعة ابواب ، والرابع في الجمل وفيه اثناعشر باباً وأما الكتاب الخامس والاخير ففيه خاتمة الكتاب وقد خصصه لما بقي من ابواب النحو وتكلم عن الوقف ، هذا وفي كل باب عدد من الفصول المناسبة .
وفي ختام الكتاب وقبل الفهرست نقرأ مايلي في الصفحة ١٦٩ (قال مؤلف هذه الرسالة القس يوسف بن داؤد الزبونجي هذا ما اردت بسطه في هذه الرسالة من مهمات هذا الفن على مارأيت ان اصطلح عليه تسهيلا لمأخذه لطلبته المبتدئين ورغبة في ان ازحزح عنه ماورد من

---

(٢٨) ابوالثناء الآلوسي – غرائب الاغتراب بغداد ١٣٧٢هـ ص ٥-٧
(٢٩) راجع مقالنا حول الطباعة في العراق – مجلة المورد مجلد ١٠ العدد ٣ ،٤ لسنة ١٩٨١
(٣٠) الكتاب مذكور في فهارس مكتبة المتحف ويجد القارئ مصوراً لبعض صفحاته في الكتاب .

مؤلفات اهل هذا الفن من الزوايد التي يمكن الاستغناء عنها باحكام غيرها مما تزيد فيه الفائدة والحمد لله رب العالمين آمين)

ومن هذه الكلمات نجد ان يوسف داؤد اتخذ له طريقة ثابتة وفكرة معينة في التأليف اللغوي اتبعها واستمر عليها فيمابعد تلك هي رغبته في تشذيب اللغة العربية وتبسيطها كي يسهل فهمها وضبطها على الدارسين فحاول ان يحذف كل ما وجده من قواعد جامدة لاتخدم اللغة وانما تعمل في تعقيدها وهو في هذا سبق عصره اذ ان هذه المحاولات في التيسير والتشذيب قد ظهرت خلال القرن الحالي بشكل يلفت النظر من خلال مؤلفات الاستاذ ابراهيم مصطفى وانيس فريحة وغيرهما .

وثمة ملاحظة اخرى جديرة بالاهتمام تلك هي طريقته في التأليف فقد بدأ بعلم الصرف والمعروف ان علماء النحو القدماء كانوا ينحون غير هذا النحو واغلب الظن ان هذه الطريقة قد اخذها عن الفرنسية واللاتينية لأن هذه اللغات تعطي اهمية كبرى للتصريف والاشتقاق قبل غيرهما من ابواب النحو ، ولاغرابة في ذلك فالرجل تثقف اول ما تثقف في اللاتينية والفرنسية ودرس كل ما يتعلق بهاتين اللغتين فحاول ان يدخل بعضاً من اساليب الدراسة اللغوية الى اللغة العربية ، كما لانستبعد ان يكون قد استفاد من تآليف فرحات واليازجي في هذا الباب،وتقسيمه للكتاب الى كتب ثم الى ابواب وفي الابواب عدد من الفصول طريقة حديثة متبعة في دراسة اللغات الاوربية . ولكنها كانت مستحدثة في اللغة العربية .

أما الامثلة التي كان يأتي بها لدعم القاعدة وتبسيطها ففيها روح عصرية غير ان الطابع الديني كان متغلباً عليها .

واستطاع ان يجمع في كتابه ثلاثة من علوم اللغة المهمة وهي الصرف والنحو والبلاغة فجاء الكتاب جامعاً ومفيداً تقبله الطلبة على اختلاف مراحلهم كما تقبله المعنيون باللغة واستفاد منه الكثيرون في دراستهم للغة العربية

بقي هذا الكتاب كما يبدو عشر سنين معتمداً في التدريس الى ان ألف كتابه الثاني الذي سماه : « التمرنة في الاصول النحوية» وطبعه سنة ١٨٦٩ والكتاب جزأن في مجلد واحد الاول للصرف والثاني للنحو.

ونظراً لما لاقاه الكتاب من رواج وثناء فقد أعاد طبع الجزء الاول في الصرف سنة ١٨٧٥ وصدره بشهادات العلماء وتقريظهم للكتاب وهم اربعة الملا سلطان افندي بن حسن وعبدالله افندي فيضي امام العلماء والفقهاء في الموصل ، وعبدالله افندي الشلشلي المتطبب وقصيدة للشاعر شهاب الدين العلوي ، وكلهم يثنون على مؤلف الكتاب ومضمون الكتاب[٣١] .

---

(٣١) كتاب التمرنة - الجزء الاول ط ٢ سنة ١٨٧٥ من ص ٨ الى ص ١٤

وطبع الجزء الثاني سنة ١٨٧٦ في النحو وقد صدره بمقدمة مهمة جداً في أصل اللغة العربية وخواصها ومايتعلق بذلك في ستة فصول وبتسع وثلاثين صفحة .

وختمه ببحث عن العروض والجوازات الشعرية باثنتين وثلاثين صفحة .

وقد صدر الجزآن في مجلد واحد في ٤٠٠ صفحة ولدى دراستنا لهذا الكتاب في طبعته الثانية وجدناه لايزال يؤمن بنفس طريقته الاولى في تهذيب وتشذيب وتيسير القواعد لدارسي العربية كي يسهل فهمها وهضمها ، فهو يقول في الفاتحة ان هدفه هو تعليم الطلاب اصول لغتهم وكيف يعبرون عن افكارهم ويكتبون بلغة سليمة لا أن يشغلوا افكارهم بالعقيم من قواعد اللغة .

ثم اعقب الفاتحة بمقدمة في اصول الكتابة والقراءة وفيها اربعة فصول : واحد في اصول الكتابة وآخر في التهجي وثالث في قاعدة القراءة والاخير في النبرة .

وقد قسم الجزء الاول الى كتابين ، تناول في الاول تصريف الفعل وما يشتق منه في احدعشر بابا والكتاب الثاني في تصريف الاسم في خمسة ابواب . ويقع في ١٦٣ صفحة .

أما الجزء الثاني فبعد المقدمة التي ذكرناها قسمه الى خمسة كتب وفي كل كتاب عدد من الابواب والفصول مخصصة للأبواب النحوية المختلفة : في اعراب الاسم ، في اعراب الفعل ، وفي الحرف وماويلحق به ، وفي الجملة ثم الخاتمة ويقع في ٢٢٧ صفحة ويبدو من طريقته في تقسيم البحث انه اخذ بالطريقة الحديثة اذ لم نكن نعلم شيئا عن هذه الطريقة في مؤلفات الأقدمين وهذه من دلائل ادخاله المنهج المعلمي الحديث في الدراسات اللغوية .

وظهر لي ان الرجل كان يميل الى رأي الكوفيين(٣٢) فقد ذكر في معرض حديثه عن الاشتقاق ان الفعل الماضي هو اصل المشتقات على عكس مايراه البصريون من علماء النحو وقد أيد رأيه الذي جاء مطابقاً لرأي الكوفيين بأدلة وبراهين منطقية استقاها من لغة التعامل والتخاطب اليومية .

أما مقدمة الكتاب التي أشرنا اليها آنفاً والتي احتلت حيّزاً من الجزء الثاني فهي بحث متكامل في اصل اللغة العربية وخواصها وما يتعلق بها وقد قسمها الى ستة فصول كان الفصل الاول في أصل اللغة العربية وفيه يبين ان اللغة العربية هي أصل اللغات السامية كما وان اللسان العربي هو من امهات اللغات كاليونانية والجرمانية والفارسية .

أما الفصل الثاني فذكر فيه فضائل اللغة العربية وعددها بسبع فضائل تناول كل منها على حدة .

والفصل الثالث تناول فيه حروف اللغة العربية من جهة لفظها وفي هذا الفصل مقارنة بين

---

(٣٢) كتاب التمرنة ط ٢ ص ٧٨

كتاب التمرنة

في الاصول النحويّة

وهو مختصر في اهمّ ابواب التصريف والنحو

تاليف

الخوري يوسف داود الموصليّ

عُفي عنهُ

راجعهُ مؤلّفهُ ونقّحهُ وزاد عليهِ زيادات شتّى كثيرة وذيّلهُ بنبذتين في العروض والشعر ومقدّمتين . فطُبع طبعةً ثانية



طُبع في الموصل

في دير الآباء الدومنكيين

سنة ١٨٧٥

مصور لغلاف كتاب التمرنة في الاصول النحوية في طبعته الثانية وكان قد طبع طبعة اولى سنة ١٨٦٩

دُعِيَتَا. دُعِينَ. دُعِيتَ. دُعِيتِ. دُعِيتُمَا. دُعِيتُمْ. دُعِيتُنَّ. دُعِيتُ. دُعِينَا *

أُعْطِيَ. أُعْطِيَا. أُعْطُوا. أُعْطِيَتْ. أُعْطِيَتَا. أُعْطِينَ. أُعْطِيتَ. الخ *

أُشْتُرِيَ. أُشْتُرِيَا. أُشْتُرُوا. أُشْتُرِيَتْ. أُشْتُرِيَتَا. الخ *

الفصل الثالث

في تصريف مضارع الناقص المرفوع

تقول في تصريف يدعو: يَدْعُو. يَدْعُوَانِ. يَدْعُونَ. تَدْعُو. تَدْعُوَانِ. يَدْعُونَ. تَدْعُو. تَدْعِينَ. تَدْعُوَانِ. تَدْعُونَ. تَدْعُونَ. أَدْعُو. نَدْعُو *

وتقول في تصريف يسقي على وزن يرمي: يَسْقِي. يَسْقِيَانِ. يَسْقُونَ. تَسْقِي. تَسْقِيَانِ. يَسْقِينَ. تَسْقِي. تَسْقِينَ. تَسْقِيَانِ. تَسْقُونَ. تَسْقِينَ. أَسْقِي. نَسْقِي *

وتقول في تصريف يخشى على وزن يبقى: يَخْشَى. يَخْشَيَانِ. يَخْشَوْنَ. تَخْشَى. تَخْشَيَانِ. يَخْشَيْنَ. تَخْشَى. تَخْشَيْنَ. تَخْشَيَانِ. تَخْشَوْنَ. تَخْشَيْنَ. أَخْشَى. نَخْشَى * وكذا يتسلّى ويتعاطى *

صفحة مصورة من كتاب
«التمرنة في الاصول النحوية»

الحروف العربية والحروف في اللغات السامية الاخرى من حيث اللفظ مع مقارنتها ايضا بالحروف في اللغات الاوربية ، وهذا الفصل يصلح لأن يكون نواة لعلم الفيللوجيا أي مايسمى بالعربية فقه اللغة .

أما الفصل الرابع فهو في شوائب اللغة العربية التي حاول حصرها في سبع نقاط ويعلق على كل شائبة ذكرها الغرباء - كما يسميهم - أو الافرنج فيعترف احيانا ويدافع احيانا اخرى .

وفي الفصل الخامس بحث عن مستنبط الخط العربي وفيه ايضا دراسة مقارنة تدل على تطلع في الكثير من اللغات القديمة .

كما خصص الفصل السادس لمستنبط الصرف والنحو .

وختمها بجدول يتضمن مقابلة اللغات العربية والسريانية والعبرانية .

هذه المقدمة التي حاولنا عرضها بصورة سريعة هي من أدق واهم ما كتبه يوسف داؤد عن اللغة العربية وفيها يظهر تعلقه بلغته ودفاعه عنها كما يبدو من خلالها ملّما ومتفقهاً فيها وفي غيرها من اللغات السامية والاوربية قديمها وحديثها بحيث اننا نستطيع القول ان كل فصل من فصولها يصلح ان يكون بحثا مستقلاً لما فيه من آراء ومعلومات جديرة بالدراسة والتمحيص .

هذا وقد ورد في مجلة لغة العرب تعليق على هذا الكتاب[٣٣] وثناء على مؤلفه .

وختم الجزء الثاني ببحث في علم العروض فيه اربعة فصول كان الفصل الاول في حقيقة العروض والشعر واجزائه ، وفي الفصل الثاني تناول أبحر الشعر الستةعشر بينما تناول في الفصل الثالث شروط حسن النظم وفي الزحاف ، أما الفصل الرابع فخصصه للقافية .

ثم تناول ايضاً في تذييلة ثانية - كما يسميها - جوازات الشعر ونستطيع القول ان هذا البحث الموجز في علم العروض والجوازات الشعرية كان من الابحاث الدقيقة كما كان من اوائل ما طبع في هذا العلم في العراق .

لقد بقي كتاب التمرنة هو الكتاب الوحيد المعتمد في تدريس اللغة العربية في الموصل ولفترة طويلة تعلم فيه المئات من الطلبة ، وبرز منهم الكثير ممن خدموا اللغة فيما بعد وألفوا فيها والنسخة التي احتفظ بها في خزانتي تعلم فيها جدّي وعليها تعليقات بخط يده وهو من الذين عاشوا تلك الفترة وعاصروها .

وبعد هذه المرحلة خطر ليوسف داؤد أن يدعم تأليفه بكتاب آخر يبغي فيه تمرين الطلاب تمرينا عمليا وتطبيقا في كل باب من الأبواب التي طرقها في كتاب التمرنة كي تنطبع القواعد في الذهن انطباعاً تاماً فأقدم على تأليف كتاب سماه «التمرين على كتاب التمرنة» طبعه سنة ١٨٧٧ ثم

---

(٣٣) لغة العرب مجلد ٤ ص ٢٧٦

طبعه ثانية سنة ١٨٨٤ في ٢٤٤ صفحة وقد جاء في مقدمته مايلي : «ان هذا الكتاب هو بكر في جنسه في العربية لم يتحر مثله احد من ابناء العرب الى الآن على ما أعهد والمقصود به تمرين الطلاب القاصدين احكام قواعد الصناعة النحوية تمرينا عمليا في كل باب من ابوابها بحيث تنطبع قواعدها في الذهن انطباعاً تاماً يحصل منه ملكة قوية واسعة تسهل للطالبين معرفة الخطأ من الصواب في كل فن من الكلام ، والسلامة من الخطأ على الفور ، والاتيان بالصواب من غير تكلف[٣٤] .

وفعلا اتت التمارين على هذه الشاكلة التي ذكرها فكانت من قبيل : أصلح هذه الجمل ، احكم هذه الجمل ، أصلح غلطتها ، كما يؤكد على المعلم ان يروض الطلاب لفظاً ثم خطاً ، ودعم تمارينه بالكثير من الشعر الجيد للمتنبي والبوصيري وابن الفارض ونصوص ادبية لأبن المقفع والحريري وغيرهم .

وفعلا كان هذا الكتاب بكراً من نوعه حيث لم نسمع عن كتاب مماثل طبع في العراق قبله وقد لاقى اعجاباً واستحساناً واثبتت فائدته العملية ، لذا فقد اعقبه بكتاب آخر سماه « تدريب الطلاب في اصول التصريف والاعراب» طبعة سنة ١٨٧٧ ايضا واعيد طبعه سنة ١٨٩٥ ويقع في ٢٤٠ صفحة وهذا الكتاب ايضا يعتمد على كتاب التمرنة ويكاد يكون مماثلا لكتاب التمرين مع تركيز على اصول الاعراب .

وقد ألف بعد هذه الكتب كتبا اخرى لاتقل أهمية عن الاولى لها علاقة بالتصريف والاعراب والاشتقاق بالعربية وكذلك في السريانية والكلدانية نهج فيها منهجه الاول نفسه مع التجديد الذي كان رائده دائما .

وتستطيع القول بعد ان استعرضنا هذه المؤلفات ان يوسف داؤد كان سباقاً في التآليف اللغوية والتعليمية وانه أول من زود المدارس بهذه المؤلفات التعليمية والتي بقيت فترة طويلة معتمدة في التدريس وحققت الكثير من الفوائد ظهرت آثارها في الاجيال التالية .

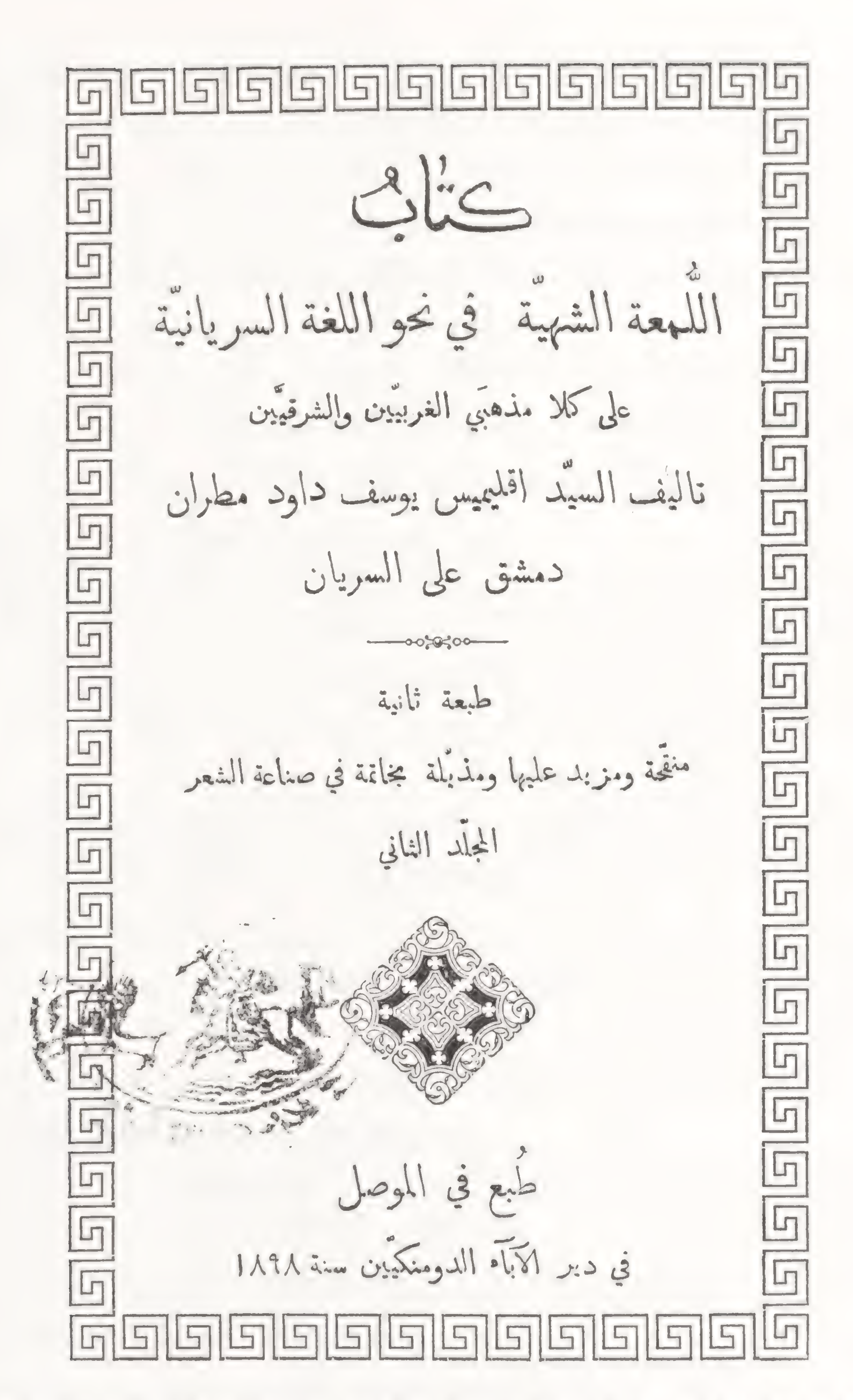
مؤلفاته اللغوية في الفرنسية والسريانية :

لم تقتصر مؤلفات يوسف داؤد اللغوية على العربية فقط وانما تعدتها الى لغات اخرى كان اهمها الفرنسية والسريانية وكان القصد من هذه التأليف تيسير دراستها للمتكلمين بالعربية .

فأقدم اولا على تأليف كتاب في نحو اللغة الفرنسية سماه « غراما طيق اللغة الفرنسية» وطبع سنة ١٨٦٥ وباللغتين العربية والفرنسية .

---

(٣٤) مقدمة كتاب التمرين على التمرنة ط ١ سنة ١٨٧٧ وتتواجد نسخة منه في مكتبة الجامعة المستنصرية في بغداد .



كتاب

اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية

على كلا مذهبي الغربيين والشرقيين

تاليف السيد اقليميس يوسف داود مطران

دمشق على السريان

طبعة ثانية

منقحة ومزيد عليها ومذيلة بخاتمة في صناعة الشعر

المجلد الثاني

طبع في الموصل

في دير الآباء الدومنكيين سنة ١٨٩٨

كتاب اللحقة الشهية في نحو اللغة السريانية «بالعربية والسريانية» الطبعة الاولى سنة ١٨٧٩ الطبعة الثانية سنة ١٨٩٨ وقد طبعت بعد وفاته

او ܐܶܣܟܶܦ باِبقاء حركة فاء الفعل * ومن ܢܰܓܶܕ : ܐܶܬ݂ܢܰܓܕ݂ܺܝ .
ܐܶܬ݂ܢܰܓܕ݂ܺܝ او ܐܶܬ݂ܢܰܓܕ݂ܽܘܢ . الخ * ونقول في المصدر الفعليّ ܡܶܕܒܰܪ
(نهبٌ) . ܡܰܟܶܐܒ (تاليم) . الخ * وفي المصدر الاسميّ من
ܟܰܣ (وبّخ) نقول ܡܰܟܣܳܢܘܬ݂ܳܐ (توبيخ) . ومن ܡܰܟܶܟ
(ذلّل) ܡܰܟܟ݁ܽܘܟ݂ܳܐ (تواضع) *

٢٣٧ واسم الفاعل من المجرّد يجري فيهِ الادغام (٢٣٠) .
فتقول من ܓܰܣ (جسّ) ܓܳܐܶܣ (جاسٌّ) . ويبقى على
ذلك في تصريفهِ الاَّ انَّ الالف تُحذَف خطّاً . فتقول ܓܳܐܶܣ
(جاسٌّ) . ܓܳܣܺܝܢ (جاسّون) . ܓܳܣܳܐ (جاسّة) . ܓܳܣܳܢ[1]

---

(١) القياس يقتضي ان يشدَّد في اسم الفاعل من المضاعف الحرف الذي بعد الزقاف كما تشدَّد في العربيَّة السين في جاسّةٍ مثلاً . الاَّ انَّ السريانيِّين المتأخّرين حتى الشرقيِّين قد اسقطوا التشديد من هذهِ الصيغة فيلفظون مثلاً ܚܳܫܳܐ . ܚܳܫܺܝܢ . ܚܳܫܳܢ حاشا حاشين حاشان . بدل حاشّا حاشّين حاشّان * والدليل على وجوب التشديد هو انَّ هذا الحرف الذي كلامنا عنهُ اذا كان من الاحرف ذات اللفظين يُلفَظ بالتقشية لا بالتركيخ . فيقال نحو ܡܳܟܶܟ݂ (نذلّ) لا ܡܳܟܶܟ݂ . ومن المعلوم انهُ انَّما تُقشّى الحروف التي تاتي بعد ساكن او مُشدَّد *

صفحة مصورة من كتاب اللحنة الشهية الطبعة الثانية — المجلد الثاني

والكتاب يحتوي على مقدمتين الاولى بالفرنسية والاخرى بالعربية وقد قسّم الكتاب الى اثني عشر بابا وفي كل باب عدد من الفصول المناسبة مع خاتمة خصصها للعلامات المميزة للجمل وقواعد التنقيط .

وذكر في المقدمة طريقته التي اتبعها حيث قال :
«فاعتنيت كل الاعتناء بأن يكون شرح الابواب النحوية التي أودعتها رسالتي هذه مأخوذ على اسلوب النحو المعهود في اللغة العربية تسهيلا لمن يكون مطلعاً عليه ليفهم الفرق بين اللغتين ويتجنب الغلط الذي يقع فيه كثيرون من العرب الذين تعلموا اللغة الفرنساوية على الطريقة التي بها يبسطها نحاتها» .

ومن المقدمة يتبين لنا ان غايته كانت تبسيط اللغة الفرنسية وتقديمها بشكل مقبول للعرب الراغبين في تعلمها ، وظل كتابه هذا معتمدا في تدريس الفرنسية في مدارس الموصل آنذاك وتعلم فيه كثيرون هذه اللغة واستطاعوا اتقانها .

ثم اقدم على تأليف كتاب في نحو اللغة السريانية بكلتا لهجتيها الشرقية والغربية وسماه «اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية» وطبع في الموصل سنة ١٨٧٩

وقد اعيد طبعه بعد وفاته وكان قد نقحه واضاف اليه خاتمة في علم العروض ونظم الشعر لدى السريان وهيأها وبعث بها الى مطبعة الدومنيكان فجاء الكتاب في طبعته الثانية :

الجزء الاول في ٦٩٤ صفحة طبع سنة ١٨٩٦
الجزء الثاني في ٤١٤ صفحة وطبع سنة ١٨٩٨ .

مع مقدمة مطولة تقع في ثمان وعشرين صفحة تحدث فيها عن صفات اللغة السريانية وانواعها ولهجاتها وهي من ادق واهم ما كتب عن السريانية في عصره .

والكتاب يحتوي على سبعة كتب ولكل كتاب ابواب متعددة والجدير بالذكر انه جاء على كلا مذهبي : الشرقيين والغربيين أي الكلدانية والسريانية ، وكتب التفاصيل والشروح بالعربية اذ ان غايته كما يبدو ان يفيد المتكلمين بالعربية ويطلعهم على نحو اللغة السريانية ومقارنته بنحو العربية .

أما منهجه في البحث فكان حديثا اتبع فيه طريقة الابواب والفصول كعهده في سابق مؤلفاته اللغوية ، وتحرى الدقة والتفصيل والتوضيح ففاق بذلك اكثر الكتب التي الفت في نحو السريانية واعتمده الباحثون وعلماء اللغة السريانية دليلا لهم في دراساتهم ومرجعا مهما يرجعون اليه ، فقد ذكر الفونس منكنا في خاتمة كتاب له ألفه فيما بعد عن قواعد اللغة الآرامية بأن يوسف داؤد قد

نجح نجاحاً باهراً في تأليف قواعد اللغة السريانية في كتبه الكثيرة اذ جعلها قواعد ناطقة وعلمية في نفس الوقت[٣٥] .

أما الأب شيخو فقد ذكر في معرض تقريظه للكتاب في طبعته الثانية مايلي : « وقد جاء هذا الكتاب تحفة يحقُّ للشرق ان يفتخر بها ويقدمها لعلماء اوربا كمثال حي يشهد لأهل بلادنا بالذكاء وتوقد الفهم»[٣٦] .

وتحدث عنه وعن مؤلفه فقال : ان مؤلفه هذا في نحو اللغة السريانية كان قد أصاب بين بقية تصانيفه مقاماً خطيراً شهد له كبار المستشرقين فأضحى لطلبه اللغات الآرامية مناراً يستضيئون به في عويص مسائلهم ودستوراً يُرجع اليه في غامض مشاكلهم[٣٧] .

واغلب الظن ان عملية اعادة طبع الكتاب كانت من اقتراح لويس رحماني (البطريرك افرام فيمابعد) الذي أشرف على الطبعة ، كما قام بعمل آخر له اهميته وهو ترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية وتذبيله ببعض الفوائد والملاحظات وطبعه سنة ١٨٩٦ في ٧٢٩ صفحة الاولى ، وبقي الكتاب معتمداً لدى اللاتين في تعلم اللغة السريانية والالمام بها وبنحوها وصرفها وآدابها ومرجعاً مهماً لدراستها .

كتاب القصارى واهميته اللغوية :

يحتوي هذا الكتاب على ثلاث مقالات مهمة كتبها يوسف داؤد بالفرنسية أولا في فترات مختلفة ، ونظرا لأهميتها فقد جمعها ونشرها بالعربية في كتاب واحد سماه : « القصارى في حل ثلاث مسائل تأريخية» وتم طبعه في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٧ في ٩٣ صفحة .

والمقالات الثلاث هي :

١ - مقالة في بيات اللغة التي تكلم بها يسوع المسيح وامه المغبوطة ورسله (أي ماهي اللغة التي كانت دارجة في اورشليم وسائر بلاد فلسطين في زمان المسيح) من ص ٣ الى ص ١٦

٢ - مقالة في بيان اللغة التي كانت دارجة في بلاد الشام عند ظهور العربية من ص ١٧ الى ص ٣٥ .

---

(٣٥) منكنة - الفونس - مفتاح اللغة الا/رامية موصل - مطبعة الدومينكان ١٩٠٥ الخاتمة ص ٢٣٤ ومنكنة هو احد العلماء والباحثين العراقيين ، درس في معهد ماريوحنا في الموصل ، وكهّن ، ثم ترك الكهنوت وسافر الى انكلترا حيث عمل في مكتباتها له مؤلفات كثيرة بالعربية والآرامية والانكليزية ، توفي في انكلترا سنة ١٩٣٧

(٣٦) مجلة المشرق مجلد ٢ عدد ١٧ سنة ١٨٩٩ ص ٨١٢

(٣٧) مجلة المشرق مجلد ١ عدد ١٨ سنة ١٨٩٨ ص ٨٥٨

٣ - أما المقالة الثالثة فهي طقس البيعة الانطاكية القديم والجديد ولغته . من ص٣٥ الى ص٧٦

وبعد هذه المقالات خصص الصفحات من ٧٧ - ٩٢ للشروح والتذييل وبعض الفوائد المهمة .

وخلاصة ماجاء في المقالة الاولى يؤكد على ان لغة السيد المسيح التي تكلم بها هي السريانية التي كانت اللغة الدارجة وليست العبرانية أو اليونانية كما يتوهم البعض ، وقد اورد الشواهد والادلّة المقنعة على ذلك وجاء بسبعة براهين وادلة لأثبات رأيه .

أما المقالة الثانية فقد أثبتت ببراهين وادلة قاطعة ان لغة اهل الشام كانت هي ايضا السريانية وذلك قبل دخول العربية .

وتطرق في بحثه الى موضوع الكتابة وذكر أنّ الذين اخترعوا الكتابة هم الكلدانيون (اي السريان الشرقيون) وليس الفينقيون وغيرهم ، وان بقية الاقوام تعلموها منهم .

وجدير بالذكر ان هذه القضية الاخيرة أثارت ضجة في الاوساط العلمية واللغوية آنذاك فقد استلّت مجلة المقتطف من مقالته ماذكره حول الكتابة ونعتته بالعلامة واعترفت له بغزارة العلم وسعة الاطلاع وقوة الحجة وسداد البرهان ، غير انها انتقدته بعض الانتقادات وخالفته الرأي في بعض القضايا ، وعادت لتقول : «على انه ماخلا هذه الامور الطفيفة يعتبر هذا الكتاب في الطبقة الاولى بين الكتب الشرقية الحديثة في دقة البحث وطول الباع وحسن المأخذ وقوة الاستدلال» (٣٨) .

ويذكر طرازي في هذا الصدد ان مجلة المقتطف انتقدت يوسف داؤد غير انه ردّ على تلك الانتقادات برسالة علمية ولطيفة فرجعوا على خطأهم ثم ينقل بالنص ماذكرته المقتطف «اننا نجلّ الرسالة التي تنبهنا الى خطأ ارتكبناه اكثر من الرسالة التي تمدحنا على صواب اتيناه ، ولسنا ممن يحسب ان قدر الناس يُحطُّ بالاعتراض على اقوالهم ويا حبذا لوكانت الرسائل التي ترد الينا مثل رسالة سيادته في العلم واللطف» (٣٩) .

ثم عادت المقتطف وعملا بحرية الرأي فنشرت ثلاث مقالات متسلسلة للاديب جرجي يني من طرابلس الشام ابتداءً من عدد مارس ١٨٨٨ ردّ فيها على يوسف داؤد خصوصاً في موضوع الكتابة محاولا التأكيد على ان الفينقيين اقدم من السريان في ابتكار الحروف .

---

(٣٨) المقتطف يناير سنة ١٨٨٨ ص ٢٥٢ و ص ٢٥٥

(٣٩) طرازي - تأريخ الصحافة العربية ج ٢ سنة ١٩١٣ ص ٥٦

الاّ قوماً من الصقالبة * وكذلك امة الفُرْس المشهورة في التواريخ القديمة وامّة التتر التي يقال لها ويكور وغيرها من الامم المجاورة اتخذوا الكتابة من السريان . وكثير من العلماء المحققّين ذهبوا انّ الاقلام المستعملة الى اليوم عند الامم الهنديَّة باللغة السنسكريتيّة والتي عند اهل تيبت وغيرهم من الامم التي في اسيا المتوسطة اصلها من القلم السرياني . حتى انهُ يسوغ لنا ان نقول بكل الحق ان العالم المتمدّن اليوم في اوروبا كلها (الاّ اجزاء زهيداً منها) واميركا كلها واوقيانيا كلها وجانب عظيم من اسيا وافريقيا ملزوم ان يعترف بفضل صناعة الكتابة لفرع من الجنس السامي وهو السرياني

حاشية في صناعة الكتابة — مذكور في آثار اليونانيين القديمة انّ امّة اليونان تعلّمت الكتابة من شرذمة فونيّة قدمت اليها من الجهة الغربيّة من بلاد الشام في القرن السادس عشر قبل المسيح بقيادة رجل اسمهُ قَدْما (وهو اسم سرياني معناهُ الاوّل) * وهنا لنا ان نعتبر اوّلاً ان هذا الخبر لا يترتّب منهُ ان الفونيّين (والعامّة تكتب اليوم في بيروت وغيرها فينيكيّين) هم الذين اخترعوا صناعة الكتابة كما استنتج قوم من المؤلفين اذ لم يعتبروا ان جلب الصناعة من مكان الى مكان وتعليمها للآخرين هو شيء . واختراعها هو شيء آخر * ثانياً ان جمهور العلماء المحقّقين اجمعوا اليوم في اوروبا على ان صناعة الكتابة التي تعلمها اليونانيّون وسائر الامم المتمدّنة القديمة والحديثة لم يحدث اختراعها الاّ في احدى شُعَب الامّة الساميّة . واذ انهُ من المقرّر ان السريان الشرقيّين الذين يقال لهم الكلدان هم الذين سبقوا في العمران والتمدّن سائر فروع الامّة الساميّة وفاقوا عليهم جميعاً ان لم نَقُل على سائر امم العالم القديمة وهو الارجح . فالعقل يضطرّنا ان ننسب اختراع صناعة الكتابة الى الكلدانيّين الذين هم السريان الشرقيّون . ثالثاً ان الذين جلبوا صناعة الكتابة الى اليونانيّين وعلّموهم اياها كانوا سريانيّين بلا شك ولو ان اليونانيّين سموهم فونيين اذ انهم اي اليونانيين لم

صفحة مصورة من كتاب «القصارى»

والصفحة تتعلق بصناعة الكتابة وآراء يوسف داؤد التي أثارت الجدل والمناقشات على صفحات مجلة المقتطف في اعداده لسنة ١٨٨٨ اي بعد طبع الكتاب سنة ١٨٨٧ في بيروت

وردّ عليه احد المشتركين الذي لم يذكر اسمه في عدد حزيران من السنة نفسها مفنّداً رأيه ومؤيداً آراء يوسف داؤد .

ونحن نستطيع ان نستنتج من هذا وذاك مدى ما أثار كتاب يوسف داؤد من ضجة علمية ، وما للكتاب من اهمية بحيث ان مجلة المقتطف وهي من المجلات العلمية والادبية المرموقة فتحت صفحاتها خلال اعداد سنة ١٨٨٨ للنقاش ونقد الكتاب .

كما اننا نستدل من خلال دراستنا للكتاب ان الرجل كان مقتنعا بآرائه واستطاع ان يقنع بها الكثيرين وذلك عن طريق الادلة والبراهين التي اعتاد ان يدعم بها اقواله . ويسلسلها تسلسلاً علمياً ومنطقياً مع الشواهد والامثلة التي تؤيد رأيه .

يضاف الى ذلك ان هذه الكتاب يعتبر تحوّلا من يوسف داؤد الى ميدان الدراسات والمباحث اللغوية وعدم الاكتفاء بالتآليف التعليمية التي مارسها لفترة طويلة . كما وانه كتاب جدير بأنْ يدرس دراسة علمية دقيقة وان يطرح ماورد فيه من آراء ومباحث كي يستفيد منه الباحثون وعلماء اللغة في عصرنا ، خصوصاً لانه جاء مخالفاً لرأي الصهيونية العالمية ولما تدعيه من ان العبرانية هي اللغة الوحيدة التي كانت سائدة في فلسطين ، فقد أثبت يوسف داؤد ببراهين وادلة قوية ان السريانية هي اللغة التي كانت سائدة عند مجئ المسيح وكانت اللغة الدارجة في فلسطين كما كانت اللغة الدارجة في بلاد الشام ايضا ، وقد استمرت حتى الفتح العربي ، حينما بدأت اللغة العربية بالانتشار واصبحت مع الأيام اللغة الرئيسة .

الفصل الثاني
يوسف داؤد المؤرخ

تمهيد :

لو تتبعنا المصنفات التأريخية العربية منذ زمن بعيد لوجدنا كثرة كثيرة من هذه المصنفات اقتضتها الظروف التأريخية والاحوال والتقلبات السياسية ، ذلك لأن الحكام كانوا يرحبّون بتلك الكتب لما فيها من مدح لهم وتثبيت لدعائمهم . يضاف الى ذلك رغبة الناس في قراءة وسماع اخبار السلف لما فيها من متعة وفائدة .

وكانت طريقة المؤرخين مزج الاخبار بالأدب كما نلاحظ في أكثر الكتب التأريخية التي ألفت في العصر العباسي ، غير انهم لم يمحصوا كل ما جمعوا من اخبار واغفلوا الجانب المنطقي في تحليل الحوادث وتعليلها واكثروا من العناية في تدوين سير الملوك والعلماء مهملين مظاهر الحياة الاجتماعية .

غير ان طفرة حدثت في العصور المتأخرة بظهور ابن خلدون (١٣٣٢–١٤٠٦م) المؤرخ العربي الشهير الذي ألف المقدمة المشهورة والتي ضمنها قواعد فلسفة التأريخ والاجتماع ، ونقد فيها الذين سبقوه وبين عيوبهم ، ثم وصف تطور الأمم وترقي الشعوب في الاجتماع والدين والسياسة والاقتصاد ، كما تكلم عن نموّ الدول وانهيارها ، كل ذلك بطريقة متسلسلة واسلوب منطقي وتعبير سائغ سهل لاتكلف فيه ولاتقيّد بسجع أو ببديع ، فكان له أثره في الدراسات التأريخية وفي تثبيت التأريخ كعلم من العلوم كما ادّى الى اعتراف الباحثين بفضله ومكانته .

وظهر بعده المقريزي (١٣٦٥–١٤٤١م) وابن عرب شاه المتوفي سنة ١٤٥٠ م وغيرهما ممن لم يستطيعوا مضاهاته فبقى ابن خلدون هو البارز في حقل الدراسات التأريخية .

ولابد لنا هنا من أنْ نشير الى مؤلفات المؤرخين المسيحيين القدماء والتي كانت تحمل طابعاً خاصاً بها نذكر منها :

تأريخ الازمان لديونيسيوس التلمحري بطريرك انطاكية والذي نقل عنه المؤرخون فيمابعد .

وتأريخ البطريرك ميخائيل الكبير وهو تأريخ عام مدني وديني يقع في اربع مجلدات ضخمة نشره القس يوحنا شابو منقولا الى الفرنسية .

وتأريخ الرهاوي المجهول وهو مجلدان ديني ومدني .

أما العلامة غوريغوريوس ابن العبري (١٢٢٦ – ١٢٨٦) فقد بلغ شهرة مستفيضة في علم

التأريخ ، وتواريخه الثلاثة المشهورة تشهد على ذلك وهي : تأريخ الازمان والتأريخ الكنسي[٤٠] ثم تأريخ مختصر الدول الذي كتبه اولا بالسريانية ثم ترجمه بنفسه الى العربية[٤١] .

وفي بدايات عصر النهضة برز بعض من الروّاد في بلاد الشام الذين اهتموا بالدراسات التأريخية نذكر منهم القس جبرائيل الاهدني المتوفي سنة ١٦٤٨ ، وابراهيم الحاقلاني المتوفي سنة ١٦٦٤م الذي عاصر الكردينال ريشيليو وترجم له عدداً من الكتب التأريخية كما كتب في تأريخ العرب وانسابهم ، ثم برز العلامة يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧-١٧٦٨م) صاحب المكتبة الشرقية والفهارس المهمة للمخطوطات العربية مع دراسة عنها .

وفي مصر ومن الروّاد الاوائل في كتابة التأريخ نذكر رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) الذي ألف كتاب تأريخ مصر الحديث وترجم بعض الكتب عن اللغات الاوربية .

أما في العراق فقد ظهر في اوائل القرن التاسع عشر عثمان بن سند (١٧٧٦-١٨٢٧) الذي ألف كتاب «مطالع السعود في طيب اخبار الوالي داؤد» وقد بقي هذا الكتاب مخطوطا . ثم لخصه امين حسين الحلواني وطبعه في بومبي سنة ١٨٨٦ بعنوان آخر يختلف عن عنوانه الأصلي وهو « مختصر تأريخ ابن سند» واضاف اليه بعض الاضافات والكتاب يبحث في تأريخ العراق من سنة ١٧٧٤ وحتى سنة ١٨٤٦ ويعتبر من الكتب ذات الأهمية الخاصة في الدراسات التأريخية لأنه لم يكن عبارة عن رواية احداث سقيمة ولكنها اخبار مليئة بالنقد والتحكيم ، فقد حاول مرات عديدة المقارنة بين الحكومة التركية ودول اوربا في التعليم ، كما حاول ان يشرح البواعث للاحداث السياسية ، ويمكن ان نلمح انه كان متأثرا الى حد كبير بأراء ابن خلدون ونظرياته الاجتماعية وقد استعملها لتأييد وجة نظره[٤٢] .

وظهر مؤرخ آخر في هذه الفترة هو ياسين العمري (١٧٤٤-١٨١٧) الخطيب الموصلي الذي الف «غاية المرام» ذكر فيه معلومات جغرافية ونسبية عدا مافيه من تأريخ بغداد خلال فترة خمسين سنة تنتهي سنة ١٨٠٥م (١٢٢٠هـ) ويقول لونكريك ان تأريخه لهذه الفترة يعتبر مبتكراً ومهما[٤٣] .

وقد بقي كتابه مخطوطاً ثم طبع مؤخراً سنة ١٩٦٨ وله كتابان أخران طبعا مؤخرا في الموصل الاول بعنوان «غرائب الأثر» طبع سنة ١٩٤٠ والثاني هو «منية الادباء في تأريخ الموصل الحدباء» وقد طبع سنة ١٩٥٥ .

---

(٤٠) نشر في لوفان - بلجيكا مع ترجمته اللاتينية سنة ١٨٧٢

(٤١) نشرة وحققه في بيروت سنة ١٨٩٠ الأب انطون صالحاني

(٤٢) داؤد سلوم - تطور الفكرة والاسلوب بغداد ١٩٥٩ ص ٧٤

(٤٣) لونكريك - اربعة قرون من تأريخ العراق - ترجمة جعفر خياط ص ٣٥٥

أما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومع بدايات الطباعة في الموصل خاصة فقد ظهرت دراسات تأريخية من نوع جديد بدأت أول الأمر مترجمة ثم ما لبثت ان ظهرت مؤلفات تأريخية كانت بوجه عام دراسات في التأريخ الكنسي والتأريخ المقدس ودراسات في تأريخ بعض الشعوب .

وقد احتلّت مؤلفات يوسف داؤد التأريخية الصدارة بين تلك المؤلفات ذلك لأن ثقافته العميقة واطلاعه على التآليف الحديثة الاوربية في التأريخ جعلته ينحو في مؤلفاته التأريخية منحى حديثاً وعلمياً فهو يؤمن بأن التأريخ علم ، وعلم بما وقع في الازمان السالفة من الحوادث المستحقة الذكر مع بيان عللها ودوافعا وعواقبها ، هذا ماذكره في مقدمة كتابه «مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة»[٤٤] .

لقد بدأ يوسف داؤد دراساته التأريخية مترجماً بادئ الأمر فترجم كتاباً مشهوراً في التأريخ الكنسي ألفه المعلم لومون الفرنسيLHOMONDوسماه : « مختصر تواريخ الكنيسة»
في ٧٢٠ صفحة عدا الفهارس وطبع في الموصل سنة ١٨٧٣ وقد ذكر في الفاتحة ان الكتاب من اشهر ما كتب في تواريخ الكنيسة وقد نقله الى العربية لينتفع به المتكلمون بهذه اللغة وعلى الاخص طلاب المدارس ، كما ذكر انه تقيد بنص المؤلف الا في الاحوال التي رأى انها لاتهمُّ اهل المشرق . ثم ذكر انه اضاف الى الكتاب فوائد جمعها من تواريخ البلاد المشرقية وقد جعل هذه الاضافات بين قوسين لتتميز عن متن المؤلف الفرنسي .

والكتاب في سبعة ابواب وفي كل باب فصول متعددة يتحدث الباب الاول عن اخبار الكنيسة منذ البداية الى انقضاء الاضطهادات والباب الثاني يشتمل على اخبار الكنيسة منذ عهد الحرية وحتى مجمع أفسس ، أما الباب الثالث ففي التواريخ الكنسية حتى المجمع السادس ، يليه الباب الرابع الذي يبحث في اخبار الكنيسة حتى انشقاق كنيسة القسطنطنية .
وفي هذا الباب كتب يوسف داؤد فصلاً خاصاً عن العلماء الذين اشتهروا في الشرق ايام الحكم العربي وحتى القرن الحادي عشر الميلاد ، كما خصص فصلاً آخر أرّخ فيه للنصارى في بلاد المشرق في نفس الفترة .
أما الباب الخامس فكان في تأريخ الكنيسة واخبارها حتى المجمع الفلورنتيني وفيه فصول عن انشاء الرهبانيات المختلفة وتواريخها كما خصص فصلا لعلاقات الكرسي الرسولي في رومة مع الطوائف المشرقية .

---

(٤٤) انظر ص ٩ في مقدمة الكتاب المذكور موصل سنة ١٨٧٧

والباب السادس كان من فتح القسطنطنية الى شقاق ينانيوس ومن ضمن هذا الباب تكلم المترجم نفسه عن احوال الطوائف الشرقية الكاثوليكية السبع : المارونية والكلدانية والسريانية والملبارية والملكية والارمنية واخيرا الطائفة القبطية والحبشية

أما الباب السابع والاخير فقد ذكر فيه تواريخ الكنيسة حتى المجمع الفاتيكاني الذي انعقد سنة ١٨٦٩ والذي عاصره المترجم نفسه وكان احد الذين اختيروا للتهيئة لاعمال المجمع والذين ساهموا بنشاط تأريخي ولاهوتي في ندواته واجتماعاته الكثيرة ، وقد ذكر مساهمته ولكن دون ذكر اسمه وانما اكتفى بالقول ان اللجنة المختارة كانت مؤلفة من اللاتينين إلا واحداً كان شرقيا ومن الطائفة السريانية من مدينة الموصل[٤٥] كما تكلم عن الاحداث في فرنسا خلال تلك الفترة والخلاف الذي نشأ بين الكنيسة وحكومة فرنسا ايام نابليون الاول .

هذا استعراض سريع للكتاب وقد ختمه بخاتمة بيّن فيها انه اضطر احيانا الى كتم واخفاء بعض الاحداث وانه جامل وساير وراعى احوال الزمان .

وفي هذه القضية بالذات نرى انه خرج عن النهج العلمي الذي اعتاده في مؤلفاته ، كما انه لم يذكر الاسانيد التي اعتمد عليها تماماً مثل فعل المؤلف الا انه يقول انه مستعد أن يفيد من يريد الوقوف على حقيقة الاسناد برضى وسرور[٤٦] وفي هذا ايضا ما فيه من المآخذ .

ونظّم في نهاية الكتاب فهارس للاعلام على نسق الحروف الهجائية وهذا ما لم يكن مألوفا في الكتب العربية القديمة .

ومجمل القول ان هذا الكتاب[٤٧] سدّ فراغاً كبيراً في تواريخ الكنيسة التي كانت مجهولة لدى الناس اذ لم تكن آنذاك مؤلفات بالمعنى الصحيح وانما كان الناس يتداولون هذه الاخبار بالرواية عن السلف ، فجاء الكتاب ليعطي صورة موجزة عن احداث التأريخ الكنسي في الشرق والغرب بصورة واضحة وجلية اما اسلوبه فكان مسترسلا خالياً من السجع والصناعة اللفظية وبسيطاً سلساً في قوة تعبير .

أما في ١٨٧٧ وبعد مضي اربع سنوات على صدور الكتاب الاول اقدم على التأليف فألّف كتاباً سماه «مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة» وقد حوى الكتاب على مقدمة في التواريخ بوجه عام وسبعة ابواب في كل باب عدد من الفصول ويقع الكتاب في ٤٠٠ صفحة .

---

(٤٥) ص ٧١٤ من الكتاب المذكور

(٤٦) الخاتمة ص ٧٢٠ من الكتاب المذكور

(٤٧) ظهرت في بيروت بعد سنة من طبع هذا الكتاب في الموصل ترجمة اخرى للخوري يوسف البستاني أي سنة ١٨٧٤ وقد جعله في جزئين الاول في ٣١٩ ص والثاني في ٣٦٤ صفحة .
وقد طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

HISTOIRE

ABRÉGÉE

DE L'EGLISE CATHOLIQUE

PAR

LHOMOND

TRADUITE DU FRANÇAIS ET AUGMENTÉE

PAR

JOSEPH DAVID

CHORÉVÊQUE SYRIEN A MOSSOUL

Edition Stéréotypée



MOSSOUL

IMPRIMERIE DES PÈRES DOMINICAINS

1873

مصور لعنوان كتاب «تواريخ الكنيسة» الذي ألفه لوموند وقام بترجمته يوسف داؤد مضيفا اليه الكثير مما يتعلق بالتواريخ الشرقية

اعتمد يوسف داؤد في تأليف هذا الكتاب على طريقة جديدة تلك هي طريقة السؤال والجواب مما يدلنا على انه مؤلف خصيصاً لطلبة المدارس وهذه طريقة جديدة لم تكن مألوفة آنذاك ، كما نلاحظ ان اسلوبه كان بسيطاً واضحاً من غير تعقيد مما يدلنا على ان غايته الاولى كانت تعليمية .

وألف ايضاً كتاباً سمّاه «التواريخ البيعية» لايخرج عن كونه تواريخ كنسية عامة إلا انه ركز فيه على تأريخ الكنيسة الشرقية .

وكما ألف بالعربية ألف ايضا بالفرنسية فقد ذكر طرازي له كتابا بالفرنسية اسمه « مختصر تأريخ السريان لم استطع العثور عليه واغلب الظن كما يبدو من العنوان انه مخصص لتأريخ السريان ودورهم في الثقافة والمعرفة ومن اشتهر من علمائهم وادبائهم .

وأرّخ لمجمع الشرفة السابع وذكر ماتوصل اليه من بنود واحكام باللغتين العربية واللاتينية طبع في رومة سنة ١٨٩١ أي بعد وفاته بسنة واحدة ثم نشر البطريرك رحماني هذا الكتاب ثانية وطبعه في بيروت سنة ١٩٢٢

كما ارّخ له بالفرنسية ايضا وطبع سنة ١٨٨٩ والكتابان الاخيران من الكتب المهمة للطائفة السريانية لأن المجمع الذي أرّخ له كان اول مجمع للسريان يعقد في عهد الكثلكة وقد أورد فيه كل البنود والاحكام والمسائل التي توصل اليها المجمع مع صور ووثائق مهمة وقد تحدثنا سابقا عن دوره البارز في تنظيم هذا المجمع وفي قراراته .

هذا وقد عثرت في مكتبة دير الشرفة – قسم المخطوطات على مخطوطة له تحمل رقم ١٦/١٦ عنوانها : « نبذة في مختصر تأريخ الطائفة السريانية الكاثوليكية وعلمائها وطقسها»

وهي مقسمة الى قسمين :

الاول : ضمنه تأريخ الطائفة السريانية والثاني في طقس الكنيسة الانطاكية السريانية وعلمائها وقد نسخها عن الأصل بشارة شدياق ابن شقيق الشيخ احمد فارس الشدياق .

ولهذه المخطوطة اهمية خاصة لانها جمعت بين التأريخ والطقوس والتراجم وقد اودع فيها الكثير من المعلومات المفيدة والاحداث التأريخية البارزة ، ولربما يتهيأ من يحقق وينشر هذه المخطوطة تعميماً لفائدتها وتوضيحاً لدور يوسف داؤد في كتابة التأريخ .

لقد حققت مؤلفات يوسف داؤد التأريخية نجاحاً ملحوظاً في وقت لم تكن هناك مؤلفات تأريخية بالمعنى الصحيح مطبوعة ومتداولة ، ولقد قرأها الناس واستفادوا منها واستطاعوا التعرف على التأريخ كعلم من العلوم له مكانته بين سائر العلوم وذلك لايمانه بأن التأريخ ليس سرد حوادث فقط وانما ينبغي تبيان عللها ودوافعها وعواقبها كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه مختصر المختصر في التواريخ .

وقد تركت هذه المؤلفات أثراً واضحاً فيمن جاء بعده وخصوصاً في المؤلفات التأريخية الكثيرة للأفرامين رحماني وبرصوم وكذلك له مؤلفات أدّي شير وغيرهم من المؤرخين.

الفصل الثالث
يوسف داؤد الأديب والمحقق

تمهيد : كان النثر في بدايات عصر النهضة شديد التأثر بأسلوب القاضي الفاضل ومن اتى بعده من ارباب الصناعة اللفظية ككتاب المقامات امثال الحريري والهمذاني الذين غلبت الالفاظ على المعاني في كتاباتهم ، وتغلبت عندهم فكرة التركيب على الادب . فالتزموا السجع ووجوه البديع المختلفة ، واكثروا من استعمال الجمل على المعنى الواحد وذلك لعجزهم عن الابتكار وتقصيرهم في البحث والتحليل ، فكانت الكتابة بمجملها ركيكة التعبير غامضة المعنى تحفل بالاسفاف احياناً ، ولاعجب في ذلك فهي قريبة العهد بالفترة المظلمة ، ولم تتوفر لها بعدُ الاسباب الكافية للنهوض فكان هذا الطور الاول طور البعث واليقظة على ضعف في المقدرات والوسائل [٤٨]

وما ان انتصف القرن التاسع عشر حتى كان احتكاك الشرق العربي بالغرب قد قوي واخذ يؤتي ثماره ، وراحت المطابع تنشر الكتب وفيها المترجم عن الادب الغربي وفيها كتب الادب العربي القديم من امثال كليلة ودمنة وكتب الجاحظ فضجّ الشرق بنزاع صارخ بين المحافظين والمجددين ولكن النصر كان اخيراً لأرباب الجديد .

وقد اتسعت اغراض النثر وفنونه في هذه الفترة فكان هناك نثر ادبي ونثر اجتماعي ونثر سياسي وهذا النوع الاخير كثر وتقدم بظهور الصحافة في العالم العربي وتطورها .

أما النثر الادبي فقد ظهر وتطور على يد اركان النهضة من امثال الشيخ ناصيف اليازجي والشدياق والطهطاوي والشيخ ابراهيم اليازجي وغيرهم واحتلّ مكانة مرموقة بين سائر الفنون واستطاع هؤلاء ارساء اسس النهضة الادبية في الشرق العربي .

أما العراق فقد برز فيه من الكتاب في هذه الفترة ابوالثناء الآلوسي صاحب المقامات المشهورة باسمه وكتاب غرائب الاغتراب وغيرها كانت بوجه عام مما نستطيع ان نطلق عليها البدايات الاولى والتي لم تصل الى ما وصلت اليه في بلاد الشام ومصر .

وهذا ماحدا بالكثيرين ان يذهبوا الى ان النهضة الادبية والفكرية تأخرت في العراق قياساً ببلاد الشام ومصر ، الا ان الباحث والمتتبع للنتاج العراقي وخصوصاً في الموصل بعد منتصف

---

(٤٨) حنا الفاخوري – تأريخ الادب العربي ص ٩٣١

القرن التاسع عشر بقليل وبالتحديد من سنة ١٨٦٠ وحتى اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ يستطيع ان يخرج بنتيجة ايجابية ، وهذا ماسنتتبعه في نتاج يوسف داؤد الادبي والفكري وما حققه من كتب التراث العربي ، وقام بطبعه في مطبعة الدومنيكان الحديثة في الموصل التي بدأت اعمالها منذ سنة ١٨٦٠ .

لقد دخل يوسف داؤد الميدان الادبي بادئ الأمر جامعاً ومحققاً وناشراً فقد اصدر سنة ١٨٦٣ كتاب «تنزيه الالباب في حدائق الآداب» والكتاب يشتمل على طرف من ألطف ماجاء في العربية نظماً ونثراً ، وذكر انه عرض الى الكثير من التشبيهات النحوية واللغوية والبيانية .

وقد جعل له فهرساً لما حوى من معانٍ ادبية وعلى نسق الحروف الهجائية .

ثم اتبعه في نفس السنة بكتاب «جني الاثمار من لطائف الاخبار» جمع فيه الكثير من الاخبار والمسائل الادبية من احسن كتب العرب ومقتطفات من المنظوم والمنثور .

ويبدو انه كان موفقاً في اختياره وجمعه للتراث بحيث جاء مطابقاً لغايته في تحبيب الادب وفنونه الى الناشئة .

وقد وفق في غايته بدليل أنَّ الكتابين دُرّسا في مدرسة الدومنيكان فترة طويلة وقد طبع كل منها فيما بعد عدة طبعات .

ثم اقدم على تحقيق كتاب آخر مهم لابن عرب شاه المتوفي سنة ١٤٥٠م اسمه : «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الندماء» والكتاب مرآة لحياة الملوك تنعكس انوارها من الامثال في وردت على ألسنة الحيوانات كما في كتاب كليلة ودمنة .

وقد أصلح متنه ورتبه وحذف ما يمجه الذوق السليم وعلّق عليه تعليقات مفيدة .

وقد ورد ذكر هذا الكتاب في تأريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان بين مؤلفات ابن عرب شاه ، وذكر انه طبع في الموصل سنة ١٨٦٩[٤٩] .

وفي سنة ١٨٦٩ ايضا قام بنشر كتاب «كليلة ودمنة» بعد ان حققه الا انه لم يذكر اسمه على الغلاف ولكن الكثير من معاصريه ومن الذين ارخوا له ذكروا الكتاب بين جملة ماحققه من كتب التراث .

وقد طبع هذا الكتاب فيما بعد عدة طبعات وتداوله الناس كثيرا ودرسه الطلاب في المدارس .

وثمة كتاب آخر قام بتحقيقه ولم ينشر اسمه على الغلاف وهو الكتاب المنسوب للشيخ مرعي الحنبلي المقدسي المتوفي سنة ١٦٢٤م واسم الكتاب « ملخص كتاب بديع الانشاء والصفات في

---

(٤٩) جرجي زيدان – تأريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٥٦

المكاتبات والمراسلات» ويقع في ١٤٦ ص وتم طبعه في الموصل سنة ١٨٦٦ .

وخلال سنة ١٨٧٠ نشر كتاب «الرموز ومفتاح الكنوز» وهي مخطوطة قام بتحقيقها وتنقيحها وقسمها الى بابين في الدين والادب .

وفي سنة ١٨٧١ نشر كتاباً آخر سماه « امثال لقمان الادبية وطرف من لطائف العرب الانسية .

وقد جمعها وضبطها وحققها واختارها ملائمة للذوق والناشئة .

هذا في ميدان التحقيق ونشر التراث ، أما في ميدان التأليف والترجمة فقد أصدر كتاباً مهماً سنة ١٨٦٥ سماه «المناهل الفرنساوية لورّاد العربية»[٥٠] ارى من المهم جداً ان أستعرضه واقدم عنه دراسة مفصلة لنرى مكانة الكتاب ومؤلفه والكتاب يقع في ٢٥١ صفحة يشتمل على نبذ شتى مختارة من افضل الكتب الفرنسية وقد رتبها واستخرجها الى العربية يقابلها النص الفرنسي بأصله .

وبعد الفهرست بالعربية والفرنسية كتب يوسف داؤد مقدمة بأربع صفحات جاء فيها على وصف للحروف الفرنسية وذكر مقاطع بحرفين وثلاثة ثم كلمات تحتوي على مقطع ومقطعين وثلاثة واربعة . . . ثم ذكر بعض الجمل كثيرة الاستعمال ، وانتقل الى اصوات الحيوانات ثم الى النباتات ووصفها وذكر جملا مأنوسة الاستعمال في الشكر والاعتذار والتحيات والمكالمات وعددها عشرة في الشؤون العامة كالميراث والطب والتجارة ، ذكر بعدها الفاظاً فرنسية لها اكثر من معنى مترجمة حسب الحروف الهجائية هذا نموذج منها :

Les hommes viles flattent les riehes

وترجها الى العربية « اللئام يملقون الاغنياء»

Un bon precheur saccommode aLa portree des audituoy

وترجمها «الخطيب الصالح يوافق كلامه لطاقة السامعين»

بعد ذلك ذكر بعنوان «لغات فرنسية» بعض العبارات المختصة بلغات فرنسا ويستعملها الفرنسيون بكثرة

On ne sait a quoi – s'en tenir

«لايعلم الواحد أي مذهب يذهب»

ثم ذكر اقوالا مثلية ويقصد بها الامثال الشائعة التي يستعملها الفرنسيون ووضع بين قوسين تفسير اغلب الامثال بأمثال عربية تشبهها معنى أو بأقوال تفسرها .

---

(٥٠) نتواجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الآباء الدومنيكان في الموصل ولم أعثر على غيرها .

iL rit du bout des dents

يضحك بأطراف اسنانه والمعنى انه يظهر السرور ويبطن الأسى

de Labondancel du Coevr La vouche Parle)

«يتكلم الفم من فضله مافي القلب»

وبعد ان انتهى من الامثال والاقوال انتقل الى فن المحاورة وذلك بعنوان « مخاطبات انسية في شروط الآداب على طريقة محاورة بين ثابت ومسرور وعادل وسعيد .

ويبدو ان الاسماء كانت في الاصل فرنسية فعّرقها كما عرق المحاورة كي يستسيغها القراء ، وفي هذه المحاورات فوائد عن الزيارات والارث والتصرف العام .

ثم انتقل الى فن جديد وهو الرسائل فكتب نماذج من رسائل تكتب الى كبار الاحبار والملوك والعظماء ورسائل اخرى تكتب الى عامة الناس كبيرهم وصغيرهم رسمية وغير رسمية نذكر منها ماورد في صفحة ١١٥ وهي رسالة من أب الى ابن له يزمع ان يتزوج وقد جاء فيها :

«وبعد فاءن القواعد الصالحة التي تلقنتها تؤكد عندي انك تفهم جيدا قيمة الزواج الذي انت مزمع ان ترتبط به ، واذكر ايضا انه ولو كان الزواج يسلط الرجل على المرأة بعض التسلط فلا يجوز ان يفسر هذا التسلط وينقلب الى بغي وجور»

ثم كتب رسائل مترجمة ومختارة عن افضل المؤلفين اهمها : رسالة من دوكا لورينا الى السلطان

رسالة من بسكال الى الملكة خرسيتنا

رسالة من حنة بولن الى الملك هنري الثامن زوجها

رسالة من خرستفور كلمبو الى ملك اسبانيا سنة ١٥٠٣

وقد اخذت هذه الرسائل حيزاً كبيراً من الكتاب وذلك من صفحة ١١٥ — ١٥٢

وبعد الرسائل انتقل الى فن الحكاية وقد ترجم في هذا الباب حكايات كثيرة اهمها حكاية لطيفة لأيسوب (وهو لقمان اليونانيين) ترجمها عن لافونتين وذلك في ص ١٥٣ جاء فيها :

«ان احدهم أمر عبدهايسوب بأن يضيّف اناساً فيشتري احسن ماهو موجود ، فاشترى ايسوب ألسنة ووضعها على المائدة وعندما سئل لماذا اخترت هذا النوع أجاب : « وايّ شيءْ احسن من اللسان ، ان اللسان هو رباط المعيشة العمرانية ومفتاح العلوم وآلة الحق والفعل ، به تبنى المدن وتُساس وبه تهذب الناس وتعقل ويحكم على الجماعات ويؤدي أول الفرائض وهو تسبيح الآلهة» وعندما قال له اعمل شرّ ماعندك ذهب فأشترى ألسنة كالأول قائلا «إنَّ اللسان هو شرّ مايوجد في الدنيا وهو ابو الفتن ومرّبي الخصومات ومنبع الفتن والحروب . .»

ثم اعقب هذه الحكاية بحكايات وقصص ووقائع مختلفة اهمها :

كتكبان رومية (دياميس رومة) وهي مترجمة عن كتاب الشهداء لشاتوبوريان.
قصة جمعية العلماء السكوتيين
حكاية تلوح فيها المحبة الاخوية
قصة يلوح فيها شكر الصنيع
قصة الوفاء المستضام
قصة يوحنا ومريم
قصة الولد المدلل
تأثير الخوف

وقد اخذت هذه القصص والحكايات من ص ١٥٣ وحتى ص ١٩٤ ثم انتقل الى باب فوائد علمية وذلك من ص ٢٠٩ حتى ص ٢٣٦ متكلما عن الشمس والكواكب السيارة والمطر والندى وسكة الحديد والتبغ مخصصاً لكل منها بحثا خاصاً.

أما الباب الاخير من الكتاب فقد سماه «شذرات» فكتب مايشبه المقالات في مواضيع عديدة اهمها: العلم، والتربية، واصول تربية البنات، مدينة صور القديمة، ومقالة اخرى عن القسطنطنية من حيث منظرها الطبيعي والادبي، وختم هذا الباب بمقالة في دمشق، وقد استغرقت هذه المقالات من ص ٢٣٧ وحتى ص ٢٥١ نهاية الكتاب.

وبعد ان استعرضنا الكتاب ومافيه من فنون ادبية مختلفة سواء المترجمة منها أو الموضوعة نجد بعض الملاحظات الجديرة بالاهتمام والمتابعة تلك ان الكتاب يعتبر الاول من نوعه في العراق اذا ماعرفنا ان تأريخ تأليفه وطبعه كان سنة ١٨٦٥ في وقت لم يعهد فيه ادبنا اي لون من الالوان الادبية التي كانت معروفة في الغرب، فقد وردت القصة كفن قائم بذاته سواء المترجمة منها أو الموضوعة ولأول مرة في العراق.

والجدير بالذكر ان بعضا من تلك القصص التي استعرضناها كانت ذات لون محلي تتعلق بالعادات والتقاليد التي كانت سائدة آنذاك كقصة الوفاء المستضام وقصة الولد المدلل.

والمؤلف يفرّق بوضوح بين ماهو قصة وماهو حكاية فقد أطلق على ماترجمه عن لافونتين وعلى لسان ايسوب «حكاية» بينما اطلق على ماكتبه عن يوحنا ومريم لفظة «قصة»، اضافة الى ذلك انه اذا حقّ لنا ان نعتبر «المحاورة» التي عرّقها واجراها بين ثابت ومسرور وعادل وسعيد بداية ولو بدائية للمسرحية بمعناها الحديث فيكون الرجل أول من طرق هذا الفن في العراق.

ولفظة «شذرات» التي أطلقها على عدد من الموضوعات التي طرقها كانت محاولة واعية في كتابة فن المقالة اضافة الى انه مارس كتابة المقالات بشكلها الحديث في نفس هذه الفترة — كما مرّ

بنا سابقا– عندما كتب مقالاته اللغوية الثلاث بالفرنسية ثم عاد فنشرها في كتاب القصارى بالعربية..

وخلاصة القول ان هذا الكتاب ضمَّ اكثرية فنون النثر الفني الحديثة من امثال وحكم ورسائل ومخاطبات وقصة وحكاية ومحاورة وحتى المقالة في وقت مبكر نسبياً مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأنه أول كتاب من نوعه ومضمونه يظهر في العراق.

أما اسلوبه في هذا الكتاب وفي غيره من الكتب الادبية ومن المقدمات التي كان يكتبها بنفسه فهو اسلوب سلس خال من التصنع والتعقيد والسجع المتكلف والمحسنات البديعية تلك الأمور التي قيدّت النثر فترة طويلة، كما امتاز بالابتكار والتحليل فيما كتبه.

كما تبدو لنا ثقافة يوسف داؤد والمامه بكافة الفنون الادبية وتطلعه من اللغات الاجنبية، علما ان دراسته في رومة كانت دينية لاهوتية، غير ان رغبته في الاطلاع والثقافة دعته الى ان يلمّ بهذه الفنون ويطرق كثيرا من الأبواب التي لم تكن مألوفة آنذاك، ويجمع بين اكثر من فن واكثر من موضوع.

وقد كان للرجل فيما بعد تأثير واضح على من جاءوا بعده سواء أكانوا من تلامذته أو ممن تثقفوا بكتبه ونتاجه فقد ترك أثراً واضحاً لايمكن تغافله بل علينا دراسته وتتبعه وخصوصاً في الدراسات حول نهضة العراق الفكرية والادبية في القرن التاسع عشر.

وآخر ما نذكره في هذا الباب مجموعة من رسائله التي كتبها بخط يده ووجهها الى الكثير من الرؤساء والاحبار والعلماء والادباء الذين عاصروه وهي ثروة ادبية وتأريخية تظهر لنا مكانته ومنزلته اضافة الى انها تعطينا فكرة واضحة عن اسلوب وطريقة مراسلاته وهذه الرسائل محفوظة في دار المطرانية في دمشق وقد حصلت على واحدة منها كنموذج ارسلها لي مشكورا المطران جرجس شلحت رئيس اساقفة دمشق سابقا وقد دونت بعضاً من فقراتها اثناء الكلام عن المجمع السرياني كما حُفظت رسائله الى عائلة طرازي في ملف خاص يحمل عنوان «العقد الثمين في رسائل الآباء الي البنين». المجلد الثالث وقد اهداه طرازي الى قسم المخطوطات في دير الشرفة وقد اطلعني عليه مع غيره من المخطوطات غبطة البطريرك اغناطيوس انطون الثاني حائك عنه زيارتي لدير الشُرفة وأفدت منه في معرفة الكثير عن حياته والاحداث الهامة التي صادفته اضافة الى ماكونته من فكرة واضحة عن اسلوبه المرسل في الكتابة والذي يمتاز بالبساطة مع قوة السبك وَالقدرة على التعبير.

المناهل الفرنساويّة للورّاد العربيّة

كتاب

يشتمل على نبذ شتّى مختارة من افضل الكتب الفرنساويّة

قد

رتّبها واستخرجها الى العربيّة

الخوري يوسف داود السرياني



طبع في الموصل

في دير الآباء الدومنكيّين

سنة ١٨٦٥

مصور لغلاف كتاب
«المناهل الفرنساوية للورّاد العربية»
عن نسخة مكتبة الآباء الدومنيكان في الموصل

en 365 jour donnent plus de 1600 Kilom. par minute.

Ce mouvement de révolution de la terre autour du soleil, et la manière dont il s'exécute, nous expliquent les différentes saisons de l'année et la différente longueur des jours et des nuits.

LE SYSTÈME PLANÉTAIRE.

Lorsque vous regardez le ciel pendant une belle nuit, vous le voyez parsemé d'étoiles. Presque toutes ces étoiles, dont la lumière est plus ou moins vive, gardent toujours entre elles les mêmes positions; elles forment des groupes que les astronomes appellent constellations. Vous pouvez regarder chaque soir un de ces groupes; les étoiles qui le composent conservent le même arrangement, c'est pour cela qu'on les nomme étoiles fixes, et il est à croire que ce sont des soleils comme le nôtre, qui ne nous paraissent si petits que parce qu'ils sont placés à une immense distance de nous.

١٦٠٠ كيلومتر في الدقيقة *

وهذه الحركة الجولانية التي تتحركها الارض حول الشمس وكيفيّة وقوعها تعبّران لنا عن اختلاف فصول السنة وطول النهار والليل *

في الكواكب السيّارة

اذا تأمّلتم السماء في ليلة صاحية ترونها مرصّعة بنجوم . وكلّ هذه النجوم المختلفة في كثرة نورها وقلّته لا يتبدّل بُعدها بعضها من بعض الّا قليلًا منها . ويتألّف منها جماعات يسمّيها اهل الفلك صُورًا فلكيّة . ولكم ان تنظروا كلّ مساء الى واحدة من هذه الصور فترون انّ النجوم المركّبة هي منها تحفظ فيما بينها نظامًا واحدًا . وتسمّى هذه النجوم الكواكب الثابتة ويقرب من التصديق انّها شموس مثل شمسنا . وانّما نرى هذه الشموس صغيرةً لكونها في بُعد شاسع عنّا جدًّا *

14 a

صفحة مصورة من كتاب

المناهل وهي نموذج من مقالاته العلمية

الفصل الرابع
العلوم الدينية

تمهيد :

يلفت النظر في نتاج القرون المتأخرة كثرة في النتاج الخاص بالعلوم الدينية سواء أكانت في الدين الاسلامي أو الدين المسيحي ، ويعود هذا بطبيعة الحال الى اهتمام الناس بالدين وعلومه المختلفة ورغبتهم في التفتح على علوم دينية جديدة ، فقد خلّف لنا علماء الدين تركة واسعة وكثيرة في مختلف العلوم الدينية بقي اكثرها مخطوطاً .

وبظهور الطباعة وبداياتها الاولى في الغرب نرى ان بدايات الطباعة واوائل ماطبع كان في حقل الدين ومعروف ان أول كتاب يطبع في اوربا كان الكتاب المقدس .

أما أول كتاب عربي يطبع في اوربا فقد كان ايضاً في مواضيع دينية وهو الكتاب المسمى (الاورلوجيون) المعروف بكتاب السواعية والذي يحوي على صلوات الساعات في الكنائس المسيحية وقد طبع في مدينة فانو في ايطاليا سنة ١٥١٤ للميلاد .

وفي الموصل وعندما جاء الدومنيكان بمطبعتهم الحجرية سنة ١٨٥٧، كان في مقدمة مطبوعاتها كتب في الدين فقد طبع فيها خلال سنة ١٨٥٨ كتابان الاول ألفه يوسف داؤد وسماه «كتاب الصلوات الطقسية السريانية» والثاني « صلوات الوردية» بالعربية للأب دوفال وبأشراف القس انطون غالو الكلداني الموصلي الذي علّمه العربية .

وعند استبدال المطبعة الحجرية بمطبعة حديثة سنة ١٨٦٠ كان أول كتاب يطبع فيها «رياضة درب الصليب» تمّ طبعه سنة ١٨٦١ وصار معتمدا في اقامة الصلوات خلال ايام الجمع من الصوم الخمسيني .

وكان يوسف داؤد المشرف الاول على المطبعة في هذه الفترة لذا نجده ينشط في تآليفه الدينية وترجماته الى العربية كما نشط في غيرها من الحقول . وقد توالت الكتب الدينية التي تعتمد التعليم المسيحي والصلوات وسير القديسين والشهداء ثم تكللت هذه الاعمال بطبع الكتاب المقدس في عدة اجزاء بالعربية ومن ثم بالسريانية .

وسنحاول القاء نظرة على جهود يوسف داؤد في الحقل الديني وما قدّمه من نتاج مؤلف أو مترجم أو محقق في حقول متعددة من العلوم الدينية .

الكتاب المقدس

كانت فكرة طبع الكتاب المقدس بالعربية تراود اذهان رجال الدين منذ مطلع القرن التاسع عشر ، فقد كان نصارى العراق يقرأون الكتاب المقدس في ترجمته المعروفة (بالبسيطة) وهي ترجمة ضعيفة وغير سليمة من الناحية اللغوية تتغلغل فيها العامية بكثرة» غير ان الامكانيات كانت محدودة والطباعة لم تدخل العراق آنذاك ، اضافة الى عدم وجود من يستطيع الاضطلاع بهذا العمل الكبير ذي المسؤوليات الكبيرة .

أما في بلاد الشام فقد تمّ طبع الكتاب المقدس بعهدية العتيق والجديد في المطبعة الأمريكية وذلك بأشراف بطرس البستاني ومصحح لغوي كبير هو الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الأسير ، غير ان هذه الطبعة كانت خاصة بالبروتستنانت فلم يحبذها الكاثوليك ، لذا فقد بدأ اليسوعيون مشروعهم الخاص بترجمة الكتاب المقدس سنة ١٨٧٢ وعهدوا الى الشيخ ابراهيم اليازجي بالاشراف اللغوي ، واستمر العمل بطبعه من سنة ١٨٧٦ وحتى سنة ١٨٨٢ فظهر في ثلاثة مجلدات مزينا بالصور ومتقنا من حيث الطباعة والاخراج [٥١]

وفي هذه الفترة تهيأ لنا في العراق من يستطيع القيام بهذا العمل ، فقد عهد الدومينكان الى يوسف داؤد القيام بترجمة وطبع الكتاب المقدس ، فباشر بالعمل سنة ١٨٦٧ ، فبدأ اولا بقراءة ترجمات الكتاب المقدس السابقة مقارناً ومدققاً بين النصوص المقبولة في الكنيسة كالسريانية والعبرانية واليونانية واللاتينية مستفيداً من معرفته واتقانه لهذه اللغات وقد اعتمد الترجمة الشرقية القديمة التي كانت أساساً لترجمة الكتاب المقدس وطبعه أول مرة في رومة سنة ١٦٧١ ، وربما اعتمد ايضا على طبعه عربية قديمة للانجيل ظهرت في حلب سنة ١٧٠٦ [٥٢] غير انه لم يذكرها .

وقام بعد ذلك بعمل الحواشي لشرح الآيات والكلمات الغامضة . واستغرق في عمله هذا اربع سنوات متوالية الى ان استطاع انجازه فبوشر بالطبع سنة ١٨٧١ واستمر حتى سنة ١٨٧٨ فظهر في اربعة مجلدات كانت تظهر تباعاً وبلغ مجموع صفحاته ٢٥٠٧ صفحة .

وقد عهد للبطريرك عبد يشوع الخياط (المطران آنذاك) والى راهب دومينكي اسمه يوحنا كان يتقن العربية بفحص الترجمة للتأكد من سلامتها من الناحيتين الفقهية والدينية ، فأبديا شهادتهما في انها تمت على وجه صحيح ولا شائبة فيها .

ثم ظهرت مشكلة النفقات الكثيرة لطبعه ، وقد حلّت المشكلة بأن تبرع الكردينال لوقيان

---

(٥١) الفكر العربي في مئة سنة بيروت ١٩٦٧ ص ٥٩

(٥٢) وردت معلومات عن هذه الطبعة في مجلة لغة العرب مجلد ٢ ص ٤٦٢

بونابرت بنفقات الطبع على شرط ان يوزع مجاناً ولذلك نرى في الطبعة الاولى كلمة gratis الفرنسية ومعناها «يعطي مجانا»[٥٣] .

وقد توالت فيما بعد طبعات الكتاب المقدس حيث ظهرت طبعة اخرى في ستة مجلدات بين سنتي ١٨٧٤–١٨٧٨ بلغت عدد صفحاتها ٣٨٠٦ صفحة .

ثم اعيد طبعه كاملا أو متفرقاً بعد ذلك عدة مرات وكلما دعت الحاجة .

والذي يعنينا في هذا المجال ان نذكر شيئا عن الاسلوب والطريقة التي اتبعها يوسف داؤد في انجاز هذا العمل الكبير با بالعربية ، ويكفي ان ننقل في هذا الخصوص شهادة من الأب الكرملي العالم اللغوي الشهير نقلا عن اثنين من الثقات هما الاستاذ كوركيس عواد والأب الدكتور ج .م .فييه قال فيها انه معجب بهذه الترجمة من النواحي اللغوية والادبية والدينية ويعدّها من احسن الترجمات التي ظهرت للكتاب المقدس في تلك الفترة . وحتى يومنا هذا يعترف الكثير من المتخصصين بأنها من احسن الترجمات في العربية للكتاب المقدس وذلك لسلامة لغتها وقوة سبكها وبساطتها ، ولازالت كنائسنا تستعمل هذه الترجمة حتى الآن .

وقد وجّه همّه بعدئذ الى ترجمة الكتاب المقدس السريانية المعروفة (بالبسيطة)[٥٤] فراجعها ونقحها واعادها الى رونقها القديم وجعلها في ستة مجلدات وقد بوشر بطبعها سنة ١٨٧٢ ثم توقف العمل واكمل فيما بعد بين سنتي ١٨٨٨ – ١٨٩٢ ولازالت هي المعتمدة في كنائس الطائفة السريانية والكلدانية لدقتها وروعة ترجمتها .

كتب السِيَر :

السيرة أو الترجمة لون من النثر الفني معروف في الادب العربي وفي آداب الأمم الاخرى ، ذلك بأن يعرض الكاتب لسيرة أو حياة شخصية بارزة اثرت بطريقة أو بأخرى في تأريخ البشر وتقدمهم وحضارتهم .

ولما كان أكثر الكتاب الذين برزوا في هذه الفترة من رجال الدين فقد اتجهوا ا الى كتابة سير القديسين والشهداء منذ نشوء المسيحية وماقدّموه من تضحيات وما وماقاموا به من اعمال وذلك لما في هذه السير من عظات بالغة وتأثير في ايمان الناس .

وقد اتجه الدومنيكان الى تشجيع التأليف في هذا الميدان وكلفوا يوسف داؤد بهذا العمل ، فظهر أول كتاب سنة ١٨٦٤ وكان بعنوان « سيرة مار فرنسيس الاسيسي السارافي» في ٣٩٨

---

(٥٣) العهد الجديد لربنا يسوع المسيح – موصل – مطبعة الدومنيكان ١٨٧٦ استقينا هذه المعلومات من المقدمة التي كتبها يوسف داؤد ومن شهادات الفاحصين .

(٥٤) هذه الترجمة هي اقدم الترجمات للكتاب المقدس ويظن غالباً انها ترجمت في نحو اواخر القرن الاول للميلاد يوسف داؤد – اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ص ٢٣

صفحة ، وقد سبق لهذا الكتاب ان ترجمه ولخصه احد الرهبان من المرسلين الكبوشيين في مدينة ماردين وعرّبه عن الايطالية فعمل يوسف داؤد على ترجمته مجدداً باسلوبه الخاص وبتفصيل أكثر .

وبعد ذلك صدرت عن المطبعة كتب اخرى في سير بعض الذين انشأوا الرهبنة الدومينكية وبعض الاتقياء والطوباييين من الدومينكان غفلا من ذكر المؤلف واذا ماعرفنا ان هذه الكتب صدرت خلال سنة ١٨٦٦ وان يوسف داؤد كان المشرف الوحيد على المطبعة فلابد ان يكون هو الذي ترجمها وأشرف على طباعتها .

وخلال سنة ١٨٦٧ صدر كتاب « سيرة القديمة تريزة معلمة رهبنة الكرمليين الحفاة» في ٦١٧ ص وجاء الكتاب ايضا غفلا من ذكر المؤلف أو المترجم .

وتكللت اعمال يوسف داؤد في فن السيرة بكتابين جامعين فقد أصدر سنة ١٨٧٣ كتاباً جامعاً يحوي سيرة القديسين شرقاً وغرباً وفي جزئين بلغت صفحاتهما ١٦٥٠ صفحة

وفي السنة التي بعدها أي سنة ١٨٧٤ اصدر كتابا أخر سماه «تقديس السنة المسيحية بقراءة سير القديسين اليومية» وفي جزئين ايضاً .

المواعظ والخطب الدينية :

الموعظة الدينية فن قديم برع فيه رجال الدين وكانت العادة ان يبدأ الواعظ خطبته بآية من الكتاب المقدس ثم يجعل لمواعظته مقدمة ينطلق بعدها الى تحليل الآية وشرحها مستخلصا منها العبر والمواعظ والارشادات .

وكانت هذه المواعظ في بدايتها بسيطة ساذجة تتلائم مع مستوى الجمهور ، كما كانت لغتها ايضا بسيطة تتخللها كلمات بالعامية المحلية التي يتداولها الناس ، ولهذا فقد دهش الجمهور الموصلي والتفوا حول يوسف داؤد عند رجوعه من رومة والقائه الخطب والمواعظ ايام الآحاد وفي المناسبات ذلك لان مواعظه اخذت طابعا جديداً يختلف صياغة مضموناً عما عهده الناس سابقاً بسبب من ثقافته الحديثة واطلاعه الواسع الذي أكتسبه من دراسته الخاصة ومن مدرسة بروبغندا في رومة .

وقد اقدم يوسف داؤد فيما بعد على ترجمة مواعظ مشهورة للأب بولس سنيري اليسوعي Segneri وطبعها سنة ١٨٧٠ في ٩٠٧ صفحة ثم اعيد طبعها لسنة ١٨٨١ في ٩١٣ صفحة وسماها : «الخطب الباهرة والمواعظ الزاجرة» وقد اعتمد الكثير من الخطباء والواعظين فيما بعد على هذا الكتاب حيث تعرفوا بواسطته بطريقة الخطابة والموعظة الدينية واساليبها الحديثة التي تجذب الناس وتسيطر على عواطفهم .

وقد ادّى نجاح هذا الكتاب الى ترجمة كتاب آخر لنفس المؤلف سماه المواعظ السديدة

الادبية في تثقيف المسيحي في طريقته الدينية . . وقد طبعه سنة ١٨٧٣ في مجلدين الاول يقع في ٤٧٥ صفحة والثاني في ٤٥٦ صفحة

ولم يذكر هذه المرة اسم المترجم في الكتاب وهذا مما دعا طرازي ان ينسب ترجمة المجلدين كليهما الى يوسف داؤد ، غير انه عاد فذكر ان المجلد الاول كان من ترجمته بينما ترجم المجلد الثاني افرام رحماني مستندا في ذلك على ما اعتقد الى رواية رحماني نفسه لأنه كان من معاصريه(٥٥) .

وجدير بالذكر ان البطريرك افرام رحماني سار على خطى استاذه فبرز في حقل الخطابة فقد ذكر معاصروه انه كان من الخطباء المفوهين في اللغة العربية اضافة الى اللغة الفرنسية واللاتينية ومن يقرأ خطبته التي تفوه بها في الموصل في رثاء يوسف داؤد سنة ١٨٩٠ والمدونة في كتاب القلادة النفيسة يجد نموذجاً حياً ورائعاً لتقدم فن الخطابة شكلا ومضموناً .

التعليم المسيحي :

كان النصارى من عامة الناس في هذه الفترة لايعرفون من اصول دينهم سوى المظاهر العامة التي توارثوها وألفوها ويؤدون الطقوس والصلوات بأيمان دون ان يعرفوا الجوهر لذا فقد ظهرت الحاجة الى كتب التعليم المسيحي التي تعرفهم على جوهر دينهم وتفقههم فيه ، فقد وجدنا ان من اوائل الكتب التي طبعت في مطبعة الدومنيكان كانت تدور حول هذه التعاليم حيث صدر سنة ١٨٦٣ كتاب يحمل اسم «خلاصة التعليم المسيحي» ألفه أمانتون احد الآباء الدومنيكان وقام بترجمته يوسف داؤد .

ثم توالت الكتب الاخرى في هذا الباب منها المختصر ومنها المطول وكلها تسير وفق المنهج الفرنسي المعتمد في المدارس المسيحية في فرنسا كما يبدو هذا من كتاب صدر سنة ١٨٧٦ عن مطبعة الدومنيكان في ٢٠٠ صفحة بعنوان « خلاصة التعليم المسيحي» وقد ورد في مقدمته انه صدر بالفرنسية اولا سنة ١٨٠١ وترجم بالنظر لأهميته وطريقته المشوقة ، والكتاب يعتمد طريقة السؤال والجواب المستعملة في المنهج الفرنسي .

وقد ترجمت هذه الكتب فيما بعد الى اللغات السريانية والكلدانية .

ونستطيع ان نذكر في هذا الصدد الرسالتين المهمتين اللتين كتبهما يوسف داؤد في الزواج المسيحي وشروطه وحقيقته لعلاقتهما بالتعليم المسيحي والتقليد الكنسي وكذلك رسالته في تعليم الكنيسة السريانية حول انبثاق الروح القدس .

واخيراً كتابه الذي ألفه باللاتينية وشرح فيه تقليد الكنيسة السريانية في رئاسة بطرس الرسول وخلفائه للعلاقة الوثيقة بين هذه المؤلفات والتعاليم المسيحية المتبعة .

---

(٥٥) طرازي - السلاسل التاريخية ص ٤٠٠

الطقوس والصلوات :

كان لابد لكتب الصلوات المختلفة ان تشغل حيّزا كبيراً بين مطبوعات مطبعة الدومنيكان وقد رأينا ان من بدايات الكتب المطبوعة كان كتاب صلوات الوردية ثم رياضة درب الصليب الذي افتتحوا به مطبعتهم الحديثة .

واعقب ذلك كتب كثيرة كان الغرض منها ترويضياً واهمها « كتاب زواردة النفس التقية في طريق الحياة المسيحية» الذي طبع سنة ١٨٦١ ثم توالت طبعاته وقد عربه يوسف داود باسلوبه السلس والجذاب وانتشر بين الناس وبين كافة الطوائف .

ثم اعقبه بكتاب أخر نال شهرة في الاوساط المسيحية وكان بعنوان «الكينارة الصهيونية لتسبيح العزة الالهية في ٤٢٥ صفحة وقد طبع سنة ١٨٦٤ ثم طبع فيما بعد طبعات اخرى .

كما ترجم ايضا عن اللاتينية كتاب « فرض السيدة الصغير» في ١٦٥ صفحة وطبع سنة ١٨٦٤ .

والعمل المهم الذي قام به يوسف داؤد فيما بعد هو تحقيقه وترجمته واصلاحه لما يسمى (بالحوسايات) وهي كلمة سريانية تعني الغفرانات تقال في المناسبات المهمة والحفلات الكنسية وقد اكمل العمل وطبعت سنة ١٨٧٩ في ٦٤٨ صفحة ولازالت حتى يومنا هذا تقرأ في الكنائس اثناء المناسبات الدينية المختلفة ، ومما تجدر الاشارة اليه انها كتبت بأسلوب بليغ خال من التكلف والصناعة اللفظية وكانت تهزُّ مشاعر الناس وتؤثر فيهم لذا فكانوا يتوقون لسماعها مرتلة أو قراءتها اثناء المناسبات .

وكلل اعماله هذه في تحقيق وضبط كتاب الاشحيم ويقصد به صلوات الفرض عند السريان ولم يستطع نشره فنشره فيما بعد تلميذه البطريرك رحماني في بيروت سنة ١٩٠٢

أما في الطقوس فقد اهتمَّ اولا بتنظيم تقاويم خاصة سماها «كلندار» وهي كلمة سريانية تعني التقويم فأصدر منها واحداً حسب طقس الكنيسة السريانية وآخر عام لجميع الطقوس،وكلل اعماله بأصدار كتب «الفناقيث» وتعني الصلوات القانونية عند السريان وقد أصلح هذه الصلوات التراثية ورتبها وجعلها في سبعة مجلدات عدد صفحاتها ٣٩٣٤ صفحة وكان قد بدأ العمل فيها قبل ذهابه الى دمشق ثم اكملها هناك وبوشر بطبعها من سنة ١٨٨٢ وحتى سنة ١٨٩٦ ولازالت حتى اليوم معتمدة في الكنيسة السريانية بعد عرضها على مجمع السريان الذي انعقد في الشرفة سنة ١٨٨٨ ونالت موافقة الأباء بالاجماع .

أما مقالته التي تتعلق بطقس الكنيسة الانطاكية القديم والجديد والتي نشرها في كتاب القصارى المار ذكره سابقا وذلك من ص ٣٥ وحتى ص ٧٦ فتعتبر من ادق واهم ما كتب في

الطقوس من حيث دقة المعلومات وتقصي الحقائق قديما وحديثا متوصلا الى معلومات قد تفيد الباحثين في هذا الصدد .

واخيرا لابد وان نذكر رسالته المخطوطة والتي عنوانها :

«التوطئة. الى الاحتجاج والتبرئة» وهي رسالة لها اهميتها دافع فيها عن نفسه عندما وجه اليه البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس انتقاداً حول ملاحظات كان قد أبداها في الطقوس ، فكتب هذه الرسالة ورفعها في ٦ اذار سنة ١٨٧٦ ولازالت الرسالة مخطوطة ومحفوظة في دير الشرفة في لبنان في ٥٨ صفحة وتحت رقم ٥/٣٢

كما وجدت اثناء مراجعتي لقسم المخطوطات في مكتبة الشرفة بحثين مهمين كتبا بخط يوسف داؤد نفسه اولهما في سينودس السريان وفي اللترجية تحت رقم ١٨/١١ والثاني في الاشحيم السرياني تحت رقم ١٨/١٣ .

نماذج من كتابات يوسف داؤد ورسائله
كما وردت في نصوصها الأصلية

نماذج من كتبه اللغوية :

قال في مقدمة كتبها في أصل اللغة العربية وخواصها وما يتعلق بذلك وقد ألحقها بكتاب التمرنة – المجلد الثاني المطبوع ١٨٧٦ في مطبعة الدومنيكان في الموصل من صفحة ١–صفحة ٣٩ وقد جاء في صفحة ١٣ في معرض حديثه عن فضائل اللغة العربية مايلي :

«من ذلك غناها واتساع الفاظها أصلا وفرعا واشتقاقاً حتى اننا بغير خوف الخطأ يسوغ لنا ان نقرر ان اللغة العربية هي اوسع جميع لغات الدنيا المعروفة . وغناها يضرب به المثل وناهيك انه إن كان يوجد لغات في الدنيا قد ذكرت بكثرة كلماتها وسعة معانيها فليس من لغة قاربت العربية في التعبير عن المعنى الواحد بالفاظ شتىٰ كثيرة ، وبتفرع الفاظها واتساع بضاعتها» .

وقال في مكان آخر ومن نفس المقدمة ص ١٦ .

«والفضيلة الرابعة هي ان اللغة العربية غنية بنفسها في كل مايحتاج الانسان الى نطقه ، فلا تحتاج الى لغة اعجمية ، ولو اراد اهلها لنفوا جميع الالفاظ الاعجمية التي دخلت فيها بنوع من الخلسة واستغنوا عنها بغيرها من بحر لغتهم الزاخر ، ومما يستحق الذكر ان العرب كاليونان وافضل من اليونان لم يتركوا شيئاً إلا واستنبطوا له اسماً من لغتهم كالمعدة والهواء والجوهر والشعر والافق وخسوف القمر وكسوف الشمس والصدى والعرش والشعر والشاعر والقصيدة الى غير ذلك ، فإن هذه الاشياء مع كون اكثرها طبيعياً ومحسوساً ، وباقيها من اخص مايتعلق بعيشة الناس العمرانية ، لاتجد لها اسماء في كثير من اللغات المعروفة فاضطر اصحابها ان يسموها باسماء اعجمية ، فإن اللاتين والسريان والجرمانيين وسائر الامم الافرنجية يسمون تلك الاشياء باسماء يونانية إلا واحداً او اثنين اتخذوه من اللغة اللاتينية هذا عدا الالفاظ الاصطلاحية المختصة بالعلوم والصنائع فإن هذه كلها إلا قليلاً قد اتخذها جميع الامم من اليونان ماعدا العرب»

ورد في صفحة ٢٧ من مقالته الثانية ضمن كتاب القصارى المطبوع ١٨٨٧ في بيروت في معرض حديثه عن السريان واختراعهم للكتابة مايلي :

«وليس هذا محل بيان الفضل العظيم الجليل الذي اولته الامة السريانية للعالم بصناعة الكتابة التي هي اساس كل عمران وكل تمدن ، فإن الخبير يعلم ان أشرف الأمم القديمة كالعبرانيين واليونانيين واللاتينيين تعلمت الكتابة من الامة السريانية .

ومن اللاتينيين تعلمت الكتابة بقية امم اوربا باكملها إلا قوماً من الصقالبة ، وكذلك امة الفرس المشهورة في التواريخ القديمة وامة التتر التي يقال لها (ويكور) وغيرهما من الامم المجاورة اتخذوا الكتابة من السريان ، وكثير من العلماء المحققين ذهبوا ان الاقلام المستعملة الى اليوم عند الامم الهندية باللغة النسكريتية والتي عند اهل تيبت وغيرهم من الامم التي في آسيا المتوسطة ، أصلها من القلم السرياني . حتى انه يسوغ لنا ان نقول بكل حق ان العالم المتمدن اليوم في اوربا كلها (إلا جزءا زهيدا منها) وامريكا كلها واوقيانيا كلها وجانب عظيم من آسيا وافريقيا ملزوم ان يعترف بفضل صناعة الكتابة لفرع من الجنس السامي وهو السرياني»

تعليق : هذه الآراء التي وردت في مقالته الثانية مع غيرها هي التي أثارت الجدل والنقاش على صفحات مجلة المقتطف خلال سنة ١٨٨٨ والتى أشرنا اليها سابقاً .

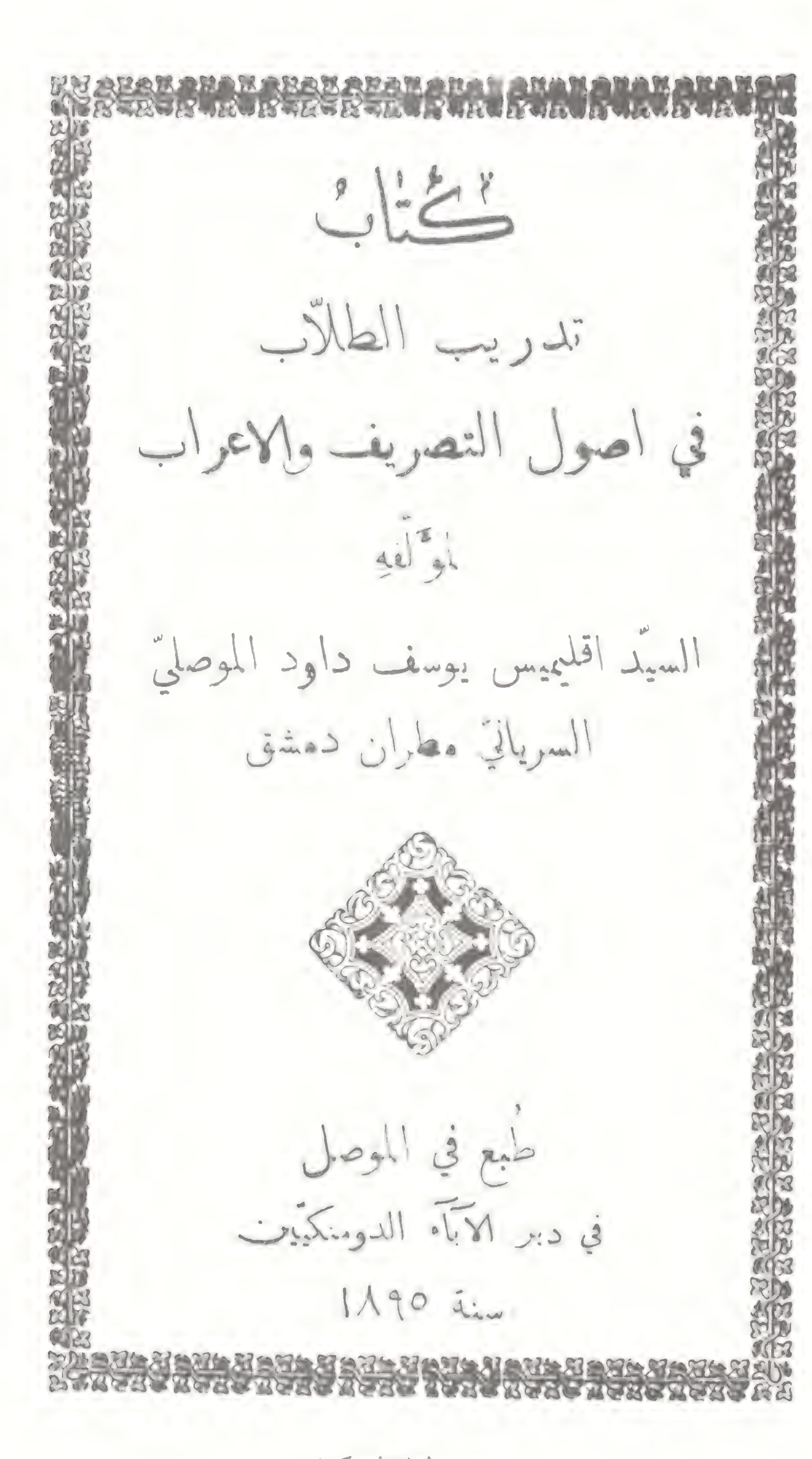
وقال في المقدمة التي كتبها في كتابة اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية عن صفات اللغة السريانية ص^٨ مايلي :

«واعلم ان اللغة السريانية هي احدى اللغات المعروفة بالساميّة اي يتكلم بها بنو سام ، واشهر اللغات السامية هي العربية والعبرانية والسريانية والحبشية وفروعهن ، وان ذكر العربية اولا بين اللغات السامية لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي اشرف اللغات السامية من حيث هي لغة ، واقدمهن واغناهن . ومعرفتها لازمة لكل من يريد ان يتقن حسناً «معرفة سائر اللغات السامية ولاسيما السريانية»

وللغة السريانية خلال وسيمه تتزين بها وتتشرف على غيرها ونحن نذكر هنا اخصّها : فالاولى انه بها نزل جانب من الكتاب المقدس من الله سبحانه على قلوب اوليائه . . . والخلّة الثانية هي ان ربنا يسوع المسيح وامه المغبوطة مريم العذراء ورسله الاطهار تكلموا بهذه اللغة . . .»

ومن مناقشاته للآراء النحوية وآرائه التي كان يقرنها دائماً بالبراهين والادلة نذكر ماورد في ص٧٨ في المجلد الاول من كتاب التمرنة عند حديثه عن الاشتقاق في اللغة العربية وعن المصادر :

«عرّف احد التصريفيين الاشتقاق بأنه هو ان تجد بين اللفظتين يعني الكلمتين تناسباً في اللفظ والمعنى وقد انقسم النحويون الى فرقتين في القول ايّ هو اصل المشتقات فقال الكوفيون ومن يتبعهم ان الفعل الماضي هو اصل المشتقات كلها وقال البصريون بل هو المصدر وعليه رأي جميع المتأخرين والظاهر ان قول الكوفيين اصح ، وادلة ذلك كثيرة اخصها ان الفعل الماضي يعرف ويصور قبل المصدر ، والطفل اذا ترعرع وبدأ ان يتكلم ينطق بالفعل الماضي قبل المصدر واكثر مايتبع في كلام الناس هو الفعل الماضي والمصدر يندر استعماله وكثير من الافعال لم يسمع مصدره ولكن من الافعال لم يذكر إلا اثنان لم يسمع ماضيها وهما يدع ويذر . . . . .»


كتاب

تدريب الطلاب

في اصول التصريف والاعراب

لمؤلفه

السيد اقليميس يوسف داود الموصلي

السرياني مطران دمشق

طبع في الموصل

في دير الآباء الدومنكيين

سنة ١٨٩٥

مصور لغلاف كتاب

تدريب الطلاب في اصول التصريف والاعراب

في طبعته الثانية سنة ١٨٩٥

وقد سبق وان طبع سنة ١٨٧٧م

الباب السادس في الاجوف

الفصل الاوّل – في اوزان الاجوف

مسائل

١ ما الفعل الاجوف – ٢ ما اوزان الاجوف المجرّد – ٣ والمزيد فيهِ – ٤ كيف تصوغ المجهول من الاجوف *

تمرينة ٣٠

١ افعال على وزن قام: تاق. جاب [طاف]. جاز. جال. حال [تحوّل]. راق [صفا]. زال. ساد. ساغ [سهل]. طاح [هلك]. عاد. عاذ [هرب]. فاز * افعال على وزن باع: بان (ولا تقلْ يبان). بات. باد. [هلك]. حان. خاب. ذاع. ساح. شاد [بنى]. طاب. كال. ماد [تحرّك]. هاج. هام * افعال على وزن خاف: خال. زال [انفكّ]. كاد. نال. نام. هاب. هال * افعال على وزن أقام: اراد. اصاب. اجاب. اعان. اطاع. اشار. افاق. اطاق *

٢ اجعل عاذ وكال على جميع اوزان المزيد فيهِ ماضيًا ومضارعًا وامرًا *

صفحة من كتاب
«تدريب الطلاب في اصول التصريف والاعراب»
والصفحة مما يتعلق في علم الصرف

نماذج من كتاباته التأريخية :

نقلا عن كتابه مختصر تواريخ الكنيسة وهي من تآليفه واسلوبه بدليل وضعها بين قوسين كما أشار هو الى ذلك في المقدمة .

جاء في ص ٦٣٤ في معرض حديثه عن مدينة الموصل اثناء حصار طهماز سنة ١٧٤٣ «وكثر في نحو النصف الاول من ذلك القرن (بقصد القرن الثامن عشر) عدد النصارى في تلك المدينة حيث تجمع اليها اهل البلاد والقرىٰ المجاورة خوفاً من هول طهماز كولي خان ملك الفرس . . . الذي ساق جيوشه سنة ١٧٤٣ على بلاد آل عثمان حتى وصلوا الى مدينة الموصل فحاصروها حصاراً قوياً ، فقاوم اهل المدينة بكل قوتهم مع انهم لم يكن عندهم عسكر سلطاني . فعجزت عساكر طهماز الذي ارجف الارض كلها عن فتح الموصل وكرّوا خائبين . وذكر الراوون ان الحاج حسين باشا صاحب الموصل المتولي عليها من قبل الدولة العثمانية (وكان من آل عبد الجليل) نسب غلبته الى شفاعة سيدتنا العذراء فأذن للنصارى الكلدان والسريان ان يبنوا كل طائفة منهم على اسمها في جوار السور كنيسة . . . .»

ومما كتبه في ص٧١٢ حول افتتاح المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٦٩ مايلي :

«إنَّ اجلَّ ما اشتهرت به حبرية البابا بيوس التاسع افتتاحه المجمع المسكوني في رومة العظمى كما كان قد اخبر في سنة ١٨٦٧ محفل الاساقفة العظيم الذين كانوا بين يديه ، وذلك ان بيوس التاسع في منشور اصدره في ٣ تموز ١٨٦٨ الى جميع اساقفة العالم الكاثوليكي بشرهم بعزمه ان يفتح مجمعا مسكونيا في ٨ كانون الاول سنة ١٨٦٩ في رومية نفسها لابرام رسوم وقوانين تضبطها وترتب امور الكنيسة الجامعة . . . . وقد أصدر سنة ١٨٦٨ منشورا الى جميع اساقفة الشيع الشرقية الغير الكاثوليكية . . . يدعوهم قاطبة الى حضور المجمع العتيد فتحه كما كان اجدادهم قد حضروا المجمع اللغدوني والفلورتيني . . .

وقد اختار البابا اكثر من تسعين شخصا من ذوي العلم الفائق والفضل المشهور من العالم كله وقسمهم الى ستّ قِسَم . . . ليهيئوا المواد المقتضية ان تعرض على آباء المجمع ويرتبوها بحيث يهون عليهم الفحص والحكم . وكان اولئك المختارون لهذه الوظيفة الصعبة كلهم اجمعون لاتينيين إلا واحداً منهم فقط كان شرقيا من الطائفة السريانية من مدينة الموصل»

ومما جاء في مقدمة كتابه مختصر المختصر في التواريخ من ص٥ الى ص٩ على طريقة السؤال والجواب مايلي :

س مالتواريخ ؟

ج التواريخ جمع تأريخ ، والتأريخ له معنيان : معنى لتعين الازمنة ومعنى لاخبار الحوادث .

س   مالتاريخ بالمعنى الاول ؟
ج   هو حدوث امر شائع من ظهور ملة او دولة او امر هائل او غير ذلك مما يندر وقوعه ، جعل ذلك مبدأ لمعرفة مابعده او ماقبله من الحوادث .
س   هل التأريخ بهذا المعنى واحد ؟
ج   كلا فان الناس اختلفوا في الازمان السالفة في تعيين امورهم ، واشهر هذه التواريخ التي استعملت الى الآن :
تأريخ العالم ، وتأريخ الألمبيات ، وتأريخ رومية ، وتأريخ نبو نصر ، وتأريخ اليونانيين وتأريخ الميلاد وتأريخ الهجرة
س   ما تأريخ الألمبيات ؟
ج   تأريخ الألمبيات ابتدأ في ١٩ تموز سنة ٧٧٦ قبل الميلاد وهو كان مستعملا عند اليونانيين القدماء ، والالمبيات نوع من اللعب الشائع كان يُعاد كل اربع سنين .
س   مالتاريخ بالمعنى الثاني ؟
ج   التأريخ بالمعنى الثاني ويقال علم التواريخ هو علمٌ بما وقع في الازمان السالفة من الحوادث المستحقة الذكر مع بيان عللها وعواقبها .

نماذج من رسائله :

من رسالة له موجهة الى البطريرك جرجس شلحت كتبها في ١٢ آب ١٨٧٨ بخصوص انتخابه لكرسي دمشق واعتذاره قال فيها :

«فلا يغضب الدمشقيون الكرام عليَّ لأني تجاسرت ان ارفض دعوتهم الكريمة وآبى اكرامهم ، فاني – والله عالم – لم افعل ذلك ازدراء بهم او بكنيستهم او استخفافا بصوتهم هذا الشريف القوي الذي يسحر اجمد الالباب ويغري ازهد القلوب ، حاشاي من ذلك ، واطلب الى الله ابي الانوار عز وجل متوسلا ان يرغب قلوبهم عني ويلهمهم بأن يقيموا مطرانا جديرا بأن يبلغهم مرادهم ويغنيهم عني ويزيّن كنيستهم الغراء بحسن خلاله ومحامده ومكارمه»

وله من رسالة في نفس الموضوع مؤرخة في ٨ آب سنة ١٨٧٨ قال فيها
«فترى غبطتكم واضحاً انكم بانتخابكم اياي لأسقفية دمشق تنزعون عني ماهو اعزّ الاشياء لديّ واكرمها واحلاها وهو التفرغ للدرس ومطالعة الكتب ، وترفعوني الى مرتبة اخاف من علوّها وتنفر نفسي منها ، ولاتنكر غبطتكم ان التفرغ للدرس لايتفق مع الاسقفية ولاسيما في بلاد المشرق وفي زماننا هذا[٥٦] . . . .»

---

(٥٦) طرازي – السلاسل التأريخية ص٢٩٩

وبعد رضوخه وتنصيبه اسقفا على دمشق كتب عدة رسائل رعوية موجهة الى ابناء طائفته كان من بينها رسالة كتبها سنة ١٨٨٠ في ٢٥ صفحة ، طبعت في دمشق وقد ورد في صفحة ٢٠ مايلي :

«فلنستعيننّ بحول الله عز وجل انا وانتم يا ايها الاولاد الاعزاء ولنعوذَنّ به من آفة الشك او التردد في الايمان الذي يعلو على كل الحيل الارضية . ولنخضعنّ انا وانتم في الفكر والقول والعمل لهذا تعليم المجمع الفاتيكاني الذي نطق به روح الحق . نعم انا وانتم لان هذا المجمع بسلطانه الاسمى يشملني انا ولو كنت راعيكم بغير استحقاق مثلما يشملكم انتم»

الى البطريرك جرجس شلحت ... في ٥ تشرين ٢ سنة ١٨٨٢

فقد تشرفت بمزيد الفرح برسالتكم الكريمة المورخة في ٣٠ تشرين الاول الحالي
وسرني الاطلاع على دوام وجودكم في [illegible] وعلى الخصوص حيث وجدنا اذ علمت
انه غبطتكم تنازلت الى استحسان الرأي الذي [illegible] عرضته عليها في امر الطريقة [illegible]
الممكنة لنوال اصلاح الطقس في طائفتنا المرغوب والضروري. واذاً فلم يبق علي الآن
الا [illegible] للعمل مستعينا برضوان غبطتكم ودعائها وبركتها. وسأرى في هذا العمل [illegible] التي
ذكرتموها في رسالتكم الغراء - هذا وان تنازلكم الى قبول رأيي الضعيف في هذا الامر يرغبني
[illegible] بان اذكر بين يديكم رأيا آخر اشد اهمية وضرورة من الاول من وجه
[illegible] وهو امر اصلاح حال الدروس الشرعية التي [illegible] في كنيستنا [illegible] على بابكم ملتحفا
علمكم وعقولكم ان غبطتكم تفيد ان كنيستنا السريانية [illegible] الآن [illegible] وليس [illegible] بها

نسخة مصورة طبق الأصل لرسالة كتبها بخط يده موجهة الى البطريرك شلحت مورخة في ٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٢ بخصوص المجمع السرياني الرسالة محفوظة في ارشيف مطرانية السريان الكاثوليك في دمشق مع مجموعة اخرى من رسائله



«بقيثارة ذات عشرة اوتار ارتل لك»

الشعار الذي اتخذه يوسف داؤد عندما رقي الى رئيس اساقفة دمشق
«نقلا عن كتاب القلادة النفيسة»

ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܐܚܝܕ ܟܠ ܐܒܐ ܘܒܪܐ
ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܐܡܝܢ
ܩܠܝܡܝܣ ܝܘܣܦ ܕܘܝܕ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ
ܕܕܪܡܣܘܩ

الى اولادنا الاعزّاء اهل ابرشيتنا السريانية الدمشقية
اجمعين الاقليرس والعلمانيِّين المحبوبين بالرب

النعمة الالهية معكم والسلام العلويّ والبركة الربّانية
تشملكم جميعًا ايها الاخوة الاعزّاء

انهُ كان من الواجب علينا ان نفرح ونبتهج في اعياد القديسين
جميعًا ونمدحهم ونهنئهم بما حازوهُ من الله من المجد في الدنيا والاخرة
فاليوم ينبغي لنا خاصةً ان تفرح قلوبنا وتهتشّ ارواحنا وتنبسط نفوسنا
ابتهاجًا وتتهلل وجوهنا حبورًا وتترنم افواهنا بالمدائح والتهاني في عيد
بطرس الرسول الذي مجدهُ يفوق على سائر اولياء الله وقديسيهِ. كيف
لا وقد نال هذا القديس السعيد ما لم ينلهُ احد من الرجال الذين اختيروا
بالاصطفاء الالهي لاظهار مجدهِ فيهم على الارض وفي السماء. وذلك لان
الله تعالى قد اختصهُ بمزية شريفة بها فاق في المرتبة والسلطة على جميع
القديسين. وذلك ان المسيح لهُ المجد اذ كان مزمعًا ان يفارق هذه الارض

نموذج من رسائله الرعوية الموجهة الى ابناء ابرشيته دمشق سنة ١٨٨٠

خـــاتمـــة

من خلال تتبعنا للصفحات المشرقة من حياة اقليميس يوسف داؤد لانجد حرجاً في ان نوافق الكثيرين ممن نعتوه بالعلاّمة ووضعوه بين روّاد النهضة الفكرية امثال الشيخ ناصيف اليازجي وبطرس البستاني واحمد فارس الشدياق ورفاعة الطهطاوي وغيرهم ممن ارسوا قواعد النهضة الحديثة في العالم العربي خلال القرن التاسع عشر ، فقد كانت حياته مليئة بالأعمال المجيدة في خدمة الوطن والعلم واللغة .

لقد خدم وطنه وامته بكل مافي وسعه ، وكان دائما الابن البار لوطنه الام وامته العريقة .

وخدم لغته الشريفة «كما يسميها هو في كتبه» بما ألفّ من كتب لغوية تعليمية امتازت بالتشذيب والتيسير فكان رائداً من روّاد التأليف المدرسي الرصين ، وكانت كتبه اللغوية من اوائل ماطبع في العراق في هذا الميدان ، كما حاول تقريب العلوم المختلفة من اذهان الناس لتصبح قريبة المنال وذلك بما وضعه من كتب مختلفة ومتعددة في شتى العلوم والمعارف ، وكفى الطلاب مؤونة الرجوع الى الكتب القديمة المتشعبة الموضوعات والرجوع الى المخطوطات التي عبثت بها ايدي النساخ .

وعمل على تهذيب اللغة فأصبحت معه طيعة تنقاد لكل معنى ، ولينة تتكيف مع كل قصد .

وكما خدم لغته العربية خدم اللغة السريانية وذلك من خلال تآليفه الكثيرة اللغوية منها والدينية والطقسية .

وحاول رفع مستوى الكتابة الفنية ، ونقلها من الانحطاط والركاكة وتعقيد الأساليب الى المتانة التعبيرية المقترنة بالسهولة والانسجام . وعالج كثيرا من الفنون الأدبية الموضوعة منها والمترجمة فكان سباقاً الى ولوج هذه الفنون .

وفي الحقل الديني ألّف كثيرا ونقّح وشذب الكثيرمن التراث الديني ، ويكفيه فخراً ان تكون اول ترجمة عربية للكتاب المقدس تطبع في العراق من اعماله .

لقد خدم كثيرا واعطىٰ كثيراً ، وبقيثارة ذات عشرة اوتار رتّل لربه (وهذا شعاره الاسقفي) ، ولم يكن أشرف عنده من أنْ يسمى خادماً لربه ووطنه وامته ، أفلا يستحق بعد كل هذا وذاك ونحن نقترب من سنة ١٩٩٠ ان نحتفل بذكراه المئوية الأولى فنفيه بعض حقه إن لم يكن كلّه .

المصـــادر المـــراجع

المصادر العربية

١ – الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين لويس شيخو اليسوعي ١–٣ بيروت
الجزء الثاني بيروت ١٩١٠

٢ – الاعلام – لخير الدين الزركلي ط ٢ ١–١٠ القاهرة ١٩٥٤–١٩٥٩
الجزء الاول والتاسع

٣ – اربعة قرون بن تأريخ العراق – لونكريك – ترجمة جعفر خياط بيروت ١٩٤١

٤ – ادب اللغة الآرامية – البير ابونا بيروت ١٩٧١

٥ – الفكر العربي في مئة سنة بيروت ١٩٦٧

٦ – بحث المطالب في علم العربية – جبرائيل فرحات (المطران جرمانوس فرحات) مالطة – المطبعة الامريكية ١٨٣٦

٧ – تأريخ مختصر الدول – ابن العبري – تحقيق الاب انطوان صالحاني المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠

٨ – تأريخ الصحافة العربية – فيليب طرازي ١–٤
١٩١٣ – ١٩٣٣ بيروت

٩ – تأريخ الموصل – القس سليمان الصائغ ج ٢ بيروت
المطبعة الكاثوليكية– بيروت ١٩٢٧

١٠ – تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر – جرجي زيدان
الجزء الثاني – القاهرة ١٩٢٢

١١ – تأريخ الادب العربي – حنا الفاخوري – الطبعة السادسة – بيروت

١٢ – تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي – د. داؤد سلوم
بغداد ١٩٥٩

١٣ – تأريخ الاقطار العربية الحديثة – لوتسكي – موسكو ١٩٧١

١٤ – تأريخ آداب اللغة العربية – جرجي زيدان
ج ٣، ج ٤ طبع اوفسيت بيروت ١٩٦٧

١٥ – تطور الفكر الحديث في العراق – د. يوسف عز الدين بغداد ١٩٧٦
١٦ – خزائن الكتب العربية في الخافقين – فيليب طرازي – المجلد الرابع
بيروت ١٩٥١
١٧ – دائرة المعارف – للبستاني بيروت ١٨٩١ المجلد السابع
١٨ – ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان – القس بطرس نصري – موصل
١٩٠٥-١٩١٣
١٩ – رنة العود في مراثي ابن داؤد – جمعها جرجي خياط
القاهرة ١٨٩١
٢٠ – السلاسل التأريخية في اساقفة الابريشيات السريانية
فيليب طرازي – المطبعة الادبية بيروت ١٩١٠
٢١ – الطرفة في مخطوطات دير الشرفة – اسحق ارملة
جونية – لبنان ١٩٣٦
٢٢ – الصحافة في العراق – روفائيل بطي
٢٣ – عناية الرحمن في هداية السريان – المطران افرام نقاشة
بيروت – مطبعة صبرا ١٩١٠
٢٤ – فصل الخطاب في لغة الاعراب – الشيخ ناصيف اليازجي – بيروت ١٨٣٦
٢٥ – قضاء فريضة الرثاء – جمعها جرجي خياط
القاهرة ١٨٩٢
٢٦ – القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة – فيليب طرازي
بيروت – المطبعة الكاثوليكية ١٨٩١
٢٧ – الكامل لأبن الأثير
٢٨ – المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين
كوركيس عواد – بغداد ١٩٦٥
٢٩ – مصادر الدراسة الادبية – يوسف أسعد داغر
ج ٣ قسم ٢ بيروت ١٩٧٢ ومابعده
٣٠ – معجم المطبوعات العربية والمعربة – يوسف اليان سركيس مطبعة سركيس – القاهرة
١٩٢٨-١٩٣٠
٣١ – معجم البلدان ياقوت الحموي

٣٢ – معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة ١–١٥
دمشق ١٩٥٧–١٩٦٧
الجزء الاول والجزء الثالث عشر
٣٣ – معجم المؤلفين العراقيين – كوركيس عواد
١–٣ بغداد ١٩٦٩
المجلد الاول ص ١٣٢–١٣٨
٣٤ – مفتاح اللغة الآرامية . الفونس منكنة
موصل – مطبعة الدومنيكان ١٩٠٥
٣٥ – المخطوطات العربية لكتبة النصرانية – الأب لويس شيخو اليسوعي
بيروت ١٩٢٤
٣٦ – معجم مبوّب للكتب العربية المسيحية المطبوعة
(طبع رونيو)
اعداد الأب جورج شحاتة قنواتي والاستاذ خيري سعيد
القاهرة ١٩٦٠

المصادر الأجنبية

1 – Brochelmann (CaRl)

Geschichte der arabischen litterature (Vol 1 – 15. Leiden 1937 – 1949)

تأريخ الآداب العربية – بروكلمان

2 – Graf (Georg)

Geschichte der Christlichen

arabisehen litterature citta del vaticano

Vol II 1947

Vol IV 1951

تأريخ الآداب العربية المسيحية

الأب جورج كراف (بالالمانية)

3 – La grande encyhlopedie

Paris 1886 – 1902

الانسكلوبيديا الكبرى – باريس

4 – Jalons Pour une histoire de L'eglise en Iraq

C. S. C. O (Louvein) 1970

Fiey (J. M)

للأب الدكتور ج. م فييه

استاذ التأريخ حالياً في جامعة القديس يوسف – بيروت

المجلة الاسيوية الفرنسية –

5 – Journal Asiatique

مجلة الشرق المسيحي بالفرنسية

Revue du L'orient cherstion

الأب ڤوستي

6 – VOSTE (jacques M)

Qas Kheder de Mossoul

Notes bio – biblographiqves in Orientalia christiana perdiodica

موسوعة الشرقيين المسيحيين بالايطالية Roma 1984, p 245 – 290

المجلات

لغة العرب – الأب انستاس ماري الكرملي اصدرها سنة ١٩١١ في بغداد
المجلدات الاربعة الاولى
وخصوصا المقالات التي كتبها روفائيل بطي في مج ٤ و ٥ عن تأريخ الطباعة في العراق .

المشرق – الأب لويس شيخو اليسوعي أصدرها سنة ١٨٩٨ في بيروت
المجلد الاول والثاني
وفي المجلد الثالث والرابع والخامس سلسلة مقالات للأب شيخو عن تأريخ الطباعة

المقتطف – الدكتور يعقوب صروف اصدرها سنة ١٨٧٦
في بيروت ثم القاهرة
اعداد سنة ١٨٨٨

المورد – وزارة الثقافة والاعلام في العراق – بغداد
مجلد ١٠ العدد ٣ ، ٤ سنة ١٩٨١
مجلد ١٢ العدد ٢ سنة ١٩٨٣
وفيها دراسة مستفيضة مع بيلوغرافيا موسعة عن تأريخ الطباعة في العراق خلال القرن التاسع عشر للمؤلف .

الف باء – وزارة الثقافة والاعلام في العراق – بغداد
السنة الثالثة ١٩٧٠ عدد ١٠٨
مقالة للمؤلف عن يوسف داؤد

Mgr. clement Joseph David (1829-1890), One of the greatest Iraqi thinkers in the 19th century.

He was Iraqi from Mosul Lived during the 19th century. He got his education in Rome in propaganda school, and he proved intelligence among his fellows. He was appointed as a priest in 1855, then he returned to Mosul.

In Mosul he worked in both religis and teaching fields,and he gave lectures at Dominicains School, and later when the first printing press was established in 1857, he became a supervisor there. He first printed educational books on language, grammar, science and religion.
Then he began to investigate many of the Arabic books on national heritage He also translated Arabic books from French and Latin into Arabic.

He translated the holy book into Arabic, and he revised and investigated the syriac translation. He composed books on the grammer of French and Syriac languages.

He was interested in writting history, and he composed eight book in this field. He was also interested in religious books , books of prayers, the lives of Saints and preeches.
He composed 85 books on different subjects and most of them have been printed, but some are written by hand and kept in propaganda library and Al-Shurfa Monastery Library in Lebanon.

His works mainly deals with five subjects: language, literature, and national heritage, history, religious sciences and general educational subjects.

He was elected as a bishop in Damascus, but he apologized for accepting that position several times, but at last he had accept the position. He served there from 1879 until his death in 1890.

He took part in the Vatican Council in 1869, and he was the only oriental member who was elected as a theologian and translator in the council. He was the organizer and translator of all the decisins of the Syriac Council which was held in Al-Shurfa Monastery in 1888.

After his death, Count Phillip Tarazi collected the lamentations said on the occasion, and he printed those lamentations in their original languages.

This research consists of three sections : The first section contains a preparatory research of the state in Iraq and the nieghbouring Arab countries from the geographical, historical ,political educational and literary points in the 19th century especially the Dominicains printing press which is considered as the first modern press which was established in Mosul and which lasted for a long time.

The second section includes his life in it's different stages and a procedure of his compositions in different fields.

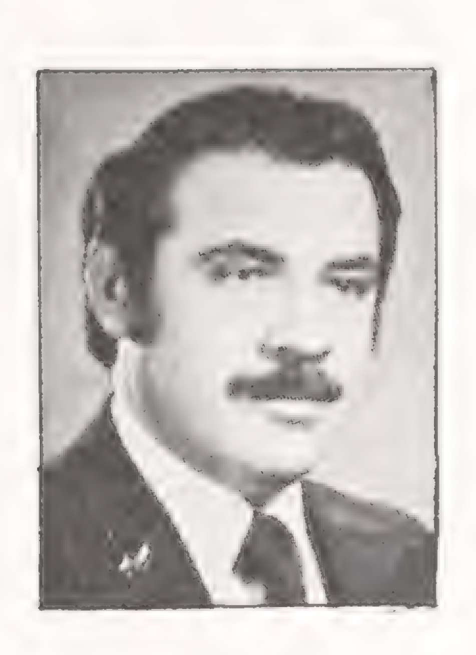
The Third section is an analytical study on his compositions which are divided into four fields: language, literature, religion, and history. At the end of the third section I have mentioned extracts from his compositions. Then I mentioned the references of the magazines and books.

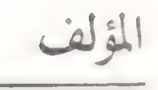
I concluded the subject by mentaining that I got at, i.e: that Joseph David is concidered one of the greates thinkers not only in Iraq but also in the Arab orient. Besides, He is regarded an equivalent to the greatest thinkers like Yazachi, Al-Bustani, Al- Shadyaq and Al-Tehtawi. As a proof to his greatness, his portrait is hung on one of the walls of the Dar-Al-Kutub in Lebanon among his great fellows in 19th century.

Author: Behnam F. AFFAS

الفهرســـت







المؤلف

ولد في الموصل ١٩٣٤

درس في الموصل وانهى دراسته الثانوية فيها ١٩٥١

تخرّج في دار المعلمين العالية ١٩٥٥ وحصل على ليسانس آداب .

اكمل دراسته العليا في جامعة السوربون في باريس وحصل على D. E. A في الآداب .

عمل مدرساً للغة العربية وآدابها في الكثير من ثانويات القطر ومعاهد اعداد المعلمين .

يكتب منذ الستينات في بعض المجلات الادبية والتراثية المعروفة .

من مؤلفاته :

الحالة الثقافية في العراق خلال القرن التاسع عشر – اطروحة جامعية «بالفرنسية» .

دراسة عن المرأة بعنوان «مجالات العمل الأفضل للمرأة العراقية»

طبعها الاتحاد العام لنساء العراق ١٩٨١ .

تأريخ الطباعة والمطبوعات العراقية – في جزئين – (قيد الطبع)

الفكر العراقي في مئة عام (دراسة معدّة للطبع)

عنوان المؤلف . بغداد الجديدة / حي سومر محلة ٧٠٦ زقاق ٥ رقم الدار ١١٠ هاتف ٧٦١٠١٨٣

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٧٦ / ١٩٨٥
٦ / ٥٠٠٠ - ١٩٨٥/٣/١

شركة مطبعة الاديب البغدادية المحدودة

اقليمس يوسف داود

رائد من رواد الفكر في العراق

١٨٢٩ - ١٨٩٠

دراسة تحليلية



تأليف

بهنام فضيل عفاص